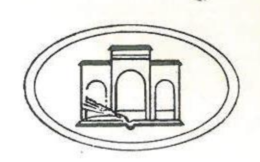


جامعة الحسن الثاني - المحمدية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مجموعة البحث في الأرشيف المغربي الأندلسي

الطب والفلاحة في الأندلس
بين الحكمة والتجريب

مساهمة في التأصيل التاريخي للتراث العلمي بالغرب الإسلامي

تأليف
أحمد الطاهري



جامعة الحسن الثاني - المحمدية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مجموعة البحث في الأرشيف المغربي الأندلسي

الطب والفلاحة في الأندلس

بين الحكمة والتجريب

مساهمة في التأصيل التاريخي للتراث العلمي بالغرب الإسلامي

تأليف

أحمد الطاهري

إهداء

إلى منار الباحثين في التراث المغربي الأندلسي
فضيلة العلامة محمد المنوني

الكتـاب : الطب والفلاحة في الأندلس.
المـؤلـف : أحمد الطاهري.
النـاشر : كلية الآداب ــ المحمدية.
الطبعـة : الأولى 1997.

الطبـع : مطبعة النجاح الجديدة ــ البيضاء.
الإيـداع : القانوني 1997/1616.
ردمـك : ISBN 9981-1856-1-2.

تقديـــم

لقد أصبح من باب المسلمات أن المكتبة العربية الإسلامية تحتوي على ثروة هامة ومتنوعة وتضم ذخائر نفيسة في مختلف فروع العلم والمعرفة، تجسد - رغم ما تعرضت له من مصادرات وإتلاف - درجات النمو الفكري ومستويات الفعل الثقافي التي تحققت ، سواء بالمشرق أو بالمغرب طوال قرون العطاء الحضاري .

ومن المعلوم أن الانتباه الى هذه الحقيقة على إثر انتقال أزمّة المبادرة الحضارية نحو الضفة الأخرى، منذ بواكير النهضة الأروبية ، قد دفع بثلة من المستعربين إلى محاولة مد القنوات للنهل من منابعها ، إما عن طريق الدراسة والبحث ، أو بواسطة الترجمة والنقل. ومنذ ظهور الطباعة وتعميم استخدامها، تكاثفت الجهود في أوساط الاستشراق - على مدار القرون اللاحقة - في مجال نشر التراث العربي والعناية بتحقيق نصوصه وفهرسة محتوياته. وهو ما تعزز بفضل أعمال نخبة من الباحثين العرب ابتداء من مطلع القرن العشرين. مع ذلك، فما زال الجزء الأكبر من المصنفات ، خصوصا المتعلقة بالطب والصيدلة، وبالفلاحة والنبات ، وبغيرها من الفروع العلمية مخطوطا أو مطبوعا طبعات رديئة ، مما جعل معظم محتوياته خارج دائرة الاستغلال العلمي والتاريخي .

واعتبارا لقيمة هذا الصنف المتخصص من المصادر، ولما يتضمنه من مادة ومعارف، تكونت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية مجموعة للبحث في الأرشيف المغربي الأندلسي، جعلت من ضمن أهدافها ، العمل على تحقيق ونشر جزء من التراث العلمي المتعلق بالغرب الاسلامي خاصة، ووضع فهارس مفصلة تعين الباحثين على استغلال مظانه ، مع التعريف بمحتوياته والاهتمام بدراسته ، وذلك من خلال إفراد مؤلفات تتناول بعض جوانبه ، وبتنظيم ندوات وملتقيات علمية تخص جملة من قضاياه .

في هذا الاطار، يسر مجموعتنا أن تقدم للباحثين ولعموم القراء المهتمين كتاب: *«الطب والفلاحة في الأندلس بين الحكمة والتجريب»*، من تأليف الدكتور أحمد الطاهري، وهو أول باكورة تنجز ضمن المشروع الذي نأمل تحقيقه. نرجو أن يكون هذا العمل فاتحة خير تتلوه سلسلة من الأعمال الأخرى.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بالشكر والامتنان للدكتور محمد الساوري قيدوم الكلية الذي لم يذخر جهدا في تشجيع أنشطة المجموعة ودعمها بإخراج هذا العمل ضمن منشورات الكلية.

ومن الله نرجو العون والسداد والتوفيق.

عن مجموعة البحث في الأرشيف المغربي الأندلسي

ذ. بوشتى السكيوي

مقدمـــة

ليس مصادفة أن يتم الجمع في هذا الكتاب بين الطب والفلاحة ، علما بالتقاطع الذي لازم مسارهما في أكثر من مجال ، طوال قرون العطاء الحضاري بالغرب الاسلامي. انعكس ذلك على مستوى التصنيف بتداخل المعارف بين الحقلين: في الطبائع والنبات والبيطرة، وفي أمور الصيدلة وقوى الأغذية والأشربة، وفي الفصول والأنواء والأزمنة. بحيث لا نبالغ إذا اعتبرناهما رافدين لرف متكامل ضمن المكتبة المغربية الاندلسية.

يتجلى ذلك باستقراء مضامين ما ينيف عن أربعين كتابا ورسالة في الطب والفلاحة والغراسة والنبات ، المخطوطة والمطبوعة ، وتتبع الإقتباسات والإشارات المتعلقة بالموضوع في ثنايا فيض من المصنفات الموضوعة في الأخبار والتراجم ، وفي المسالك والممالك والمعاجم ، وفي الأدب وعلوم اللغة والكلام ، وفي الفقه والاحكام ، إلى غير ذلك من النصوص المرتبطة بالحكمة والتصوف والتنجيم .

إلا أن أحكم صلة بين الحقلين - كما يتضح من خلال تحليل توثيقي في المتون المعتمدة - يكمن في اشتراك نهلهما من علوم الأوائل ، ووثوق ارتباطهما بالحكمة والفلسفة ، مما يجعلهما في مقام أول بمثابة الشاهد الحامل لبصمات غائب ، ويتعلق الأمر بصدر الفكر الفلسفي بالاندلس ، الذي تألق لفترة ليخبو بعدما توالت عليه النكبات ابتداء من الضربة العامرية. خصوصا وأن ما تخلف عن القرن الرابع الهجري من أغلاق وتداعيات فلسفية، لا تسعف - على ما يبدو - في اخراج البحث المعاصر من متاهات التحليل النصي ، للشروع في لمّ الثغرات المخرومة وتركيب الحلقات المبتورة وإعادة ربط هذا المستوى الفكري بعمقه التاريخي .

ولا يقل تمرس كلا العلمين في أساليب وأدوات الاختبار التجريبي ودأبهما

على مداومة ربط النظر بالعمل أهمية ، إذ يوفران بذلك حقلا متميزا للتنقيب في جوانب من التاريخ الحضاري ، طالما أهملت من لدن المدارس التاريخية المعاصرة ، بدعوى شح المادة التاريخية . خصوصا وأن المصنفات المتاحة في الطب والفلاحة ، والشذرات المتناثرة في غيرها من المظان ، تزخر بفيض من مصطلحات الأعمال والمعاملات ، ودقائق الآلات والأدوات ، إلى ما يند عن الحصر من أسماء النباتات والمنتوجات والمستحضرات ، متعددة الأصول ، متحركة المبنى ، كفيلة بفتح آفاق رحبة للبحث في تاريخ الاجتماع اللغوي ، وإغناء الثروة المعجمية والقواميس المتخصصة في علوم النبات والتربة ، والطب والصيدلة ، والفلاحة والبيطرة .

مع ذلك ، فلا مناص من الإقرار بأن القسط الأوفر من التراث الطبي والفلاحي قد تعرض للإتلاف ، مما يفصح عن حجم المجهود المطلوب بذله ، إن على مستوى نشر وتحقيق النصوص المخطوطة ، وإعادة تركيب شذرات الكتب والرسائل المتداخلة والمبتورة ، وتجميع ما يمكن من الإشارات المتناثرة ، أو فيما يتعلق بإخضاع المادة المتداولة لما تتطلبه من تفكيك ومعالجة .

وهو المشروع الذي تسعى مجموعة البحث في الارشيف المغربي الاندلسي بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالمحمدية إلى إنجاز بعض حلقاته ، وبهذا العمل[1] نرجو السير خطوة في هذا المنحى .

والله ولي التوفيق

الاحد 22 جمادى الاولى 1417

احمد الطاهري

1 - كانت مباحثه الثلاثة في الأصل مجرد أوراق قدمت على التوالي : في الملتقى الدراسي المغاربي الأول بكلية الآداب بمكناس، وفي الملتقى الرابع للدراسات المغربية الأندلسية بكلية الآداب بتطوان، وفي الملتقى الأول ضمن البرنامج السنوي حول التاريخ الاجتماعي للغرب الاسلامي بكلية الآداب بالمحمدية .

المبحث الأول :

في المصطلحات وحدود الألفاظ

إن ضبط المصطلحات وتدقيق المفاهيم المستعملة في مختلف فروع العلم والمعرفة ، ليس من المستجدات المرتبطة بالعصر الحديث ،علما بوفرة القرائن الدالة على انغماس الفكر العربي الإسلامي الوسيط منذ عهد مبكر في فك رموز ما اشتهر في المصادر العربية باسم "حدود الألفاظ "[1]. ولقد عرف أحدهم الحد باعتباره " اللفظ الجامع المانع ومعناه : الذي يجمع الحدود على جنسه ويحصره ، ويمنع ما ليس منه أن يدخل فيه ، وما هو منه أن يخرج عنه "[2].

ومن الملاحظ أن العناية بهذا المجال لم تكن حكرا على النحاة والمناطقة . فبصرف النظر عما وضعه هؤلاء من حدود وتعاريف ، وصنفوه من معاجم وقواميس ، لا تعوز الدلائل على أهل القلم من مختلف التخصصات والمشارب الذين ابدوا اهتماما ملحوظا بهذا الموضوع . ولقد عبر أحدهم [3] في نص بالغ الدلالة على الأهمية المنهجية والمعرفية التي ما فتئ يحتلها في صلب الفعل الثقافي ، كاشفا عما قد ينتج من خلل في حالة التقصيرعن ضبط المصطلحات ، وعدم الدقة في تحديد المفاهيم ، إذ قال : " هذا باب خلط فيه كثير ممن تكلم في معانيه ، وشبك بين المعاني وواقع الأسماء على غير مسمياتها ، ومزج بين الحق والباطل فكثر الشغب والإلتباس ، وعظمت المضرة وخفيت الحقائق " .

ففيما يتعلق بالفقه والأصول وبالتوحيد وعلم الكلام ، تتعدد الأبواب والفصول المخصصة من طرف المصنفين لـ"بيان حدود الألفاظ الدائرة بين

---

1 - ابو الوليد الباجي ، بيان حدود الألفاظ الدائرة بين المتناظرين ، مخطوط المكتبة العامة والمحفوظات ، تطوان ، رقم 353 ، (ضمن مجموع)، 118.

2 - نفس المصدر والصفحة ، انظر لمزيد من التفصيل عن معاني الحدود : ابن سينا، ابو علي الحسين بن عبد الله ، حدود الأشياء ، مخطوط مكتبة الأسكوريال ، رقم 844 ، (ضمن مجموع) ، ورقة 67 ب .

3 - ابن حزم، الإحكام في اصول الأحكام، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1983، ج 1 ، م 1 ، 35.

المتناظرين "[4]. وبينما اقتصر اهتمام البعض [5] على التدقيق في "حد وحقيقة" المصطلحات الشائعة التداول [6]، والتمييز بين " مقاصد أهل اللغة " [7] ، وضبط " ما تفيده هذه اللفظة " [8] او تلك عموما " من غير تخصيص " [9] ، أو " بيان ماهيتها " [10] في مستويات أعمق وأخص ، لم يتقاعس البعض الآخر عن تتبع المصطلحات " مما يجب معرفة تفسيرها " [11] لفظة لفظة ، مع التدقيق في صبر وأناة في " معنى كل لفظة على حقيقتها " على حد تعبير الفقيه الاندلسي الظاهري الشهير ابن حزم [12]. بل ومن أهل القلم من تجرد لاستقصاء مفاهيم المصطلحات المتداولة بين المتناظرين والمصنفين في هذه الحقول المعرفية لتقديمها في لوائح مفصلة ، نذكر منها على سبيل المثال القائمة التي قدمها ابو الوليد الباجي والتي تتضمن حصرا لمعاني وحدود فيض من المصطلحات [13].

---

4 - ابو الوليد الباجي ، المصدر السابق ، 118. انظر كذلك : ابن حزم ، المصدر السابق ، ج 1 م 1 ، 35 و القاضي عبد الجبار ، المغني في ابواب التوحيد والعدل ، تحقيق مصطفى السقا، مراجعة ابراهيم مذكور ، القاهرة ، 1965 ، ج 11 ، 7 و185-94 و 363-64.

5 - القاضي عبد الجبار ، نفس المصدر ، ج11 ,185.

6 - ذكر الشيرازي على سبيل المثال : " أن حد التقليد هو قبول القول من غير دليل ، وهو مأخوذ من القلادة التي تكون في العنق" شرح اللمع ، تحقيق عبد المجيد تركي ، دار الغرب الاسلامي، 1988 ، ج 2 ,1007.

7 - القاضى عبد الجبار ، المصدر السابق ، ج11 ,359.

8 - نفسه ، ج11 ,363.

9 - نفسه ، ج11 ,363-64.

10 - نفسه ، ج11 ,358-59.

11 - ابن حزم ، المصدر السابق ، ج8 ، م2 ,133.

12 - نفسه ، ج 1، م 1، 35.

13 - نذكر منها: العلم ، العلم الضروري، العلم النظري ، الإعتقاد ، الشك، الظن ، غلبة الظن، السهو ، العقل ، الفقه ، اصول الفقه ، الجدال ، النظر، الإستدلال ، الدليل ، الدلالة ، الدال ، المستدل ، المستدل عليه ، المستدل له، البيان ، الظاهر ، العموم ، المجمل ، المفسر ، المحكم ، المطلق . . . الخ ، المصدر السابق ، 118-19.

ونظرا لما يصبو اليه التصوف والمتصوفة من معان ومستويات ودلالات تند عن إدراك الجمهور، لم يتقاعس المصنفون والمهتمون بهذا المجال، من جهتهم، عن تخصيص الأبواب والفصول ضمن مؤلفاتهم لـ" تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها " [14].

ولم يكن الأطباء أقل انتباها الى أهمية تحديد مفاهيم الألفاظ والمصطلحات المتداولة بينهم و " تبيين معاني الأشياء " [15] فضمنوها كثيرا من مصنفاتهم . منهم من آثر تخصيص ملحقات في آخركتابه لـ" شرح ما وقع في الكتاب من الأسماء " [16]، ازالة للبس وتسهيلا للمعرفة. وبصرف النظر عن المصنفات الطبية التي اتخذت ضمنا شكل قواميس ومعاجم اصطلاحية ، مثل كتاب ابى الصلت امية بن عبد العزيز المصنف في الادوية المفردة [17] ، هناك من وضع رسائل وكتبا خاصة " في المفردات الطبية " [18]. ولا غرو ، فكتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، الذي صنفه العشاب المالقي الشهير ابن البيطار ، تضمن وحده " ما يزيد على ثلاثة آلاف مصطلح علمي في مختلف علوم الطبيعة من معادن ونبات وحيوان " [19]. وبالمثل ، فمن الجغرافيين من مهد لكتابه بمقدمة تتضمن مفاهيم الألفاظ ومعاني الجمل والكلمات المستخدمة في المتن لتكون بمثابة مفتاح ، كقول احدهم على سبيل

---

14 - القشيري ، الرسالة القشيرية ، القاهرة ، 1359 هجرية / 1940 م ، 33 .

15 - ابن بختيشوع ، كتاب الروضة الطبية ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 889 ، ورقة 22 أ ، إذ يقدم هو الآخر لائحة مفصلة ببيان معاني حوالي خمسين من المصطلحات الشائعة الاستعمال في هذا الحقل المعرفي مثل : الجنس ، النوع ، الفصل ، الخاصة ، العرض ، الجوهر ، الكم ، الكيف ، العضو ، القوة ، الفعل ، المرض ، العلة . . . الخ ، انظر : ورقة 23 ب .

16 - ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله ، كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول ، مخطوط المكتبة الحسنية ، الرباط ، رقم77 ,254-55.

17 - انظر : ابراهيم بن مراد ، بحوث في تاريخ الطب العربي ، بيروت ، 1991 ، 378-97 وكذلك الكتاب المنسوب لأبي الخير الاشبيلي ، عمدة الطبيب في معرفة النبات ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، الرباط ، منشورات اكاديمية المملكة المغربية ، 1990.

18 - انظر على سبيل المثال : كتاب فى المفردات الطبية مبتور الأول ، مخطوط المكتبة العامة تطوان ، رقم 126 (ضمن مجموع) .

19 - ابراهيم بن مراد ، المرجع السابق ، 40.

المثال : " فان قلنا المغرب فهو الاقليم ، فان قلنا الغرب تبع ذلك مصر والشام "[20]. ونظرا لما تثيره بعض الأعلام الجغرافية واسماء المواقع من خلط وارتباك ، لم يتردد البعض[21] عن التأليف في "المشترك وضعا والمفترق صقعا" .

ومما يثير الإنتباه أن القدامى لم يغفلوا ضبط التغييرات الطارئة على دلالات ومفاهيم الألفاظ عند نقلها من حقل معرفي لاستخدامها في حقل معرفي آخر، فتجردوا لبيان مجالات الاتفاق وهوامش الاختلاف في دقة نادرة . فدفعا لالتباس المعاني والدلالات، لم يذخر أحد الأطباء وسعا في تتبع هذا الصنف من المصطلحات بالتدقيق والتمييز إذ قال بخصوص لفظة الروح على سبيل المثال: "قولي روح إنما أريد به الشيء الذي يكون به الإبصار كأنه نور . . . وعلى هذا يعرفه الأطباء ، وليس يعنون متى قالوا روحا ما يعني به أصحاب علم الكلام ، ونبهت على ذلك لئلا يقع التباس بسبب الأسماء المشتركة"[22]. كما قدم توضيحا مماثلا بخصوص مصطلح الاعتدال بالنص على أن : "قولي اعتدال ليس على ما يقوله المنجمون فانهم إنما يحرزون عدد الأيام ، وليست صناعة الطب بحسب هذا وانما نحرز ما نجده حسا"[23].

ولا تعوز الدلائل الكاشفة عمن انتبه الى ما قد يثيره اختلاف المصطلحات ومفاهيم الالفاظ من التباس بين المشرق والمغرب ، بل وحتى فيما بين أقاليم المنطقة الواحدة[24]. وعلى الرغم من دأب البعض على ضبط "الأشياء التي يختلف فيها

---

20 - المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، مطبعة بريل1967 ,7.

21 - والمقصود هنا ياقوت الحموي الذي صنف كتابا بهذا العنوان، نشر وستنفلد، كوتنجن 1846.

22 - عبد الملك بن زهر ، التيسير في المداواة والتدبير ، تحقيق ميشيل الخوري، دمشق ،1983 ,58.

23 - نفس المصدر والصفحة .

24 - ففي سياق حديث أبي عبيد الله البكري عن أهل سرت ، ذكر ان "لهم كلاما يتراطنون به ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي ولا يعرفه غيرهم ، وهو على خلاف أخلاق أهل طرابلس" ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، دي سلان ، باريس ،1965 ، 7. ولقد ذكر ابن حزم أن "من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة" ، الإحكام في أصول الأحكام ، ج 1 ، 31 ، مما يكشف عن شمولية هذه الظاهرة لكثير من مناطق البلاد المغربية .

أهل الاقليم " [25] الواحد في لوائح قد تطول ، عجزوا عن استيعاب الاختلاف ، مما حذا بأحدهم إلى التاكيد بان مثل "هذا كثير وان استوعبناه طال الكتاب " [26]. في هذا السياق ، نبه كل من المقدسي [27] وياقوت الحموي [28] وغيرهما من الجغرافيين على الاختلاف بين اهل المشرق واهل المغرب والاندلس حول دلالات عدد من الالفاظ والمصطلحات الادارية والتنظيمية ، ولم يتقاعسوا عن بيان ذلك في عناية واضحة .

وبرغم ما بذل من مجهودات في مختلف فروع العلم والمعرفة بخصوص المفاهيم والمصطلحات ، يبدو ان باب الاجتهاد والابداع استمر مفتوحا طوال عصر التألق الثقافي بدار الاسلام [29]. وفي كثير من الحالات الشائكة ، لم يأنف بعض اهل

---

25 - ضمن المقدسي كتابه المصنف في الأقاليم لائحة مفصلة تبين التطابق والإختلاف فيما بين عدد من اقاليم دار الاسلام بخصوص جملة من الالفاظ ، نذكر منها : لحام قصاب جزار ، باعتبارها اسماء لنفس المسمى وكذا قطان حلاج ، طباخ بقال ، عشار مكاس مرصدي ، زجاج قواريري ، دباغ صرام آدمي سختياني جلودي ، بزاز كرابيسي رهدان ، فندق خان تيم دار التجار ، . . . الخ ، مما يكشف عن دورالتنوع الاقليمي والاختلافات المحلية - على عاميتها - في إثراء القواميس المعجمية للغة العربية العالمة . وفي نفس السياق ، أضاف المقدسي بانه سيتكلم في كل اقليم بلسانهم ويناظر بطريقتهم ويضرب من أمثالهم لتعرف لغتهم ورسوم فقهائهم ، المصدر السابق ، 32 .

26 - نفس المصدر والصفحة .

27 - إذ بين ان مصطلح الاقليم بالأندلس يعني الرستاق بالمشرق ، نفسه ، 222 ، كما وضح أن المقصود بالنواحي الكور على قياس اهل المشرق ، نفسه ، 235.

28 - إذ ذكر انه خلافا لاهل المشرق ، كان الاندلسيون " يسمون كل قرية جامعة اقليما " ، معجم البلدان، بيروت، 1979، ج 1 ، 26. راجع كذلك مصنفه السالف الذكر : المشترك وضعا والمفترق صقعا ، 330. وفي نفس السياق بين الحموي الاختلافات الموجودة بين اهل المشرق واهل المغرب بخصوص دلالات مصطلحي الرستاق والاقليم .

29 - بصرف النظر عن اهمية القرن الثاني الهجري بهذا الشأن ، فالمقصود هنا بالاضافة للقرن الرابع الهجري ، تداعيات التألق التي استمرت بعدئذ خلال القرن الخامس ، وهو ما تناولناه ببعض التفصيل في عدد من الدراسات السابقة ، انظر على سبيل المثال : المناخ الثقافي والتطورات الفقهية بالاندلس خلال عصر الطوائف ، ضمن دراسات ومباحث في تاريخ الاندلس ، البيضاء، 1993 ,125-42.

القلم الاستنجاد بالمناطقة [30]، منهم من طالب احد المتخصصين في هذا الحقل المعرفي ببيان " مواضع الزلل التي في الحدود " [31]. ولعل في إقرار هذا الاخير بالعجز قائلا : انني "معترف بقصوري عن بلوغ الحق فيما يلتمسون مني " [32]، ما يكشف عن درجة الوعي – منذ فترة مبكرة – بالفروق الدقيقة التي قد تنسج فيما بين المنطوق والمتصور .

وتقدم كتب الفلاحة وبالخصوص مصنفات ابن العوام الإشبيلي وابن بصال والطغنري ، وكذلك كتاب ابن حجاج ومنظومة ابن ليون ، إضافة للكتب والرسائل الموضوعة في الغراسة وأحكام الغرس [33] عددا هائلا من الألفاظ والمصطلحات النباتية والزراعية . ينطبق نفس الشيء على المصنفات النباتية [34] والطبية [35]، والمؤلفات الموضوعة في الأشربة والأغذية [36]. بل وحتى كتب النوازل والوثائق

30 - وهو ما كشف عنه احدهم بالقول : " فان أصدقائي سألوني ان املي عليهم حدود أشياء يطالبوني بتحديدها فاستعفيت من ذلك ، بل الحوا علي لمساعدتي اياهم " ، ابن سينا ،المصدر السابق ، ورقة 76 ب .

31 - نفس المصدر والورقة .

32 - نفس المصدر والورقة .

33 - مثل كتاب : مجهول ، ترتيب اوقات الغراسة والمغارسة . نشر انخل لوبيس ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، غرناطة ، 1990 ومخطوط المكتبة العامة بتطوان رقم 297 حول "احكام الغرس" لمجهول .

34 - نذكر منها على سبيل المثال الكتاب السالف الذكر المنسوب لأبي الخير الإشبيلي .

35 - تحتوي المكتبة الأندلسية على مجموعة هامة من الكتب الطبية ، منها ما نشر وترجم الى بعض اللغات الأجنبية ، ومنها ما ينتظر في رفوف عدد من دور الأرشيف حظه من العناية . لمزيد من التفاصيل ، راجع ضمن هذا الكتاب المبحث الثاني الخاص بالبعد الفلسفي والممارسة التجريبية في الصناعة الطبية .

36 - نذكر منها مصنف عبد الملك بن زهر ، كتاب الاغذية ، تحقيق وترجمة اكسبراثيون غارثيا سانشيس ، المجلس الاعلى للابحاث العلمية ، مدريد ، 1992 وكتاب نجيب السمرقندي ، الاغذية والاشربة ، مخطوط المكتبة العامة ، تطوان ، رقم 297 (ضمن مجموع) .

والسجلات الفقهية [37]، لا تقل أهمية بهذا الخصوص. من هذه الألفاظ والمصطلحات ما استمر متداولا الى اليوم ، ومنها ما اختفى منذ مدة ، ليس فقط من القواميس الطبية والنباتية والفلاحية المعاصرة - التي كثيرا ما تشكو من العجز عن ايجاد المقابل العربي لعدد من المصطلحات الأعجمية - بل وكذلك من لغات التخاطب اليومية .

وبخصوص المنتوجات الفلاحية ، نلاحظ تعدد انواع الزيوت بالاندلس من حيث اللون والجودة . تبعا لذلك ضبطت الاختلافات على مستوى التسمية والاصطلاح . فمن الزيوت المشهورة بجودتها ، نذكر " زيت الزيتون اللجين " [38] و" زيت الانفاق " [39] و" زيت الماء الاخضر " [40]، بينما عرفت " زيت البر " [41] بكونها من الزيوت المتوسطة الجودة . في حين صنفت " الزيت العكري " [42] و" زيت العامة " [43] ضمن الانواع الرديئة . وبالمثل ، عرف القمح الاسود الاحرش السنابل باسم "اشبونا" [44] في حين كان القمح الاحمر الرطب " معروفا بالربون" [45]. كما تعددت اسماء البطيخ الاندلسي بتعدد اصنافه ، فمنه "البطيخ

---

37 - فبصرف النظر عن نوازل وفتاوي كل من ابن الحاج وابن سهل وابن رشد ووثائق الفهري وابن العطار والجزيري المستعملة في هذا المبحث ، لا تقل نوازل الشعبي المالقي ومعيار الونشريسي وغيرها اهمية بهذا الخصوص .

38 - الفهري، كتاب الوثائق، مخطوط مكتبة معهد الدراسات العربية، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مدريد ، رقم XI، ورقة 16 أ.

39 - كتاب مجموع في علم الفلاحة ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 1410 د ، 176 أ.

40 - الفهري ، المصدر السابق ، ورقة 16 أ.

41 - نفس المصدر والورقة .

42 - مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 176 أ.

43 - نفس المصدر والورقة .

44 - نفسه ، 126 أ .

45 - نفس المصدر والصفحة .

السكري " [46] و " البطيخ البعلي " [47] ومنه " البطيخ السندي " [48] وهكذا دواليك . ينطبق نفس الشيء على الزيتون [49] الذي ذاع صيت جودته في ابعد الآفاق ، وكذا العسل [50] بمختلف انواعه ، خصوصا الأنواع المعروفة بالعسل الجياني والقنباني والغربي . وبرغم اقرار احدهم بان " الزبيب ليس يعرف له اجناس ولا اسماء " [51] ، فمن المعروف ان الزبيب الاندلسي : منه الاسود والاحمر الشمسي والدحاني ، الى غيرذلك من الاصناف . ينطبق نفس الشيء على التين [52] والعنب [53] والحرير [54] ، الى ما يند عن الحصر من المنتوجات الفلاحية .

ولا تقل المصطلحات المخصصة لمختلف العمليات الفلاحية اهمية في الكشف عن مستويات التطور التي تحققت في هذا المجال خلال فترات تألق الحضارة الاسلامية ببلاد الاندلس . نخص منها بالذكر إضافة الى أعمال " القلب والتزبيل " [55]

---

46 - نفسه ، ورقة 61 ب .

47 - نفس المصدر والورقة .

48 - نفس المصدر والورقة . ومن الملاحظ ان اللغة الاسبانية احتفظت الى اليوم بهذا المصطلح اسما لهذا النوع من البطيخ ، وهو المعروف بـ Sandia.

49 - انظر : الطغنري، زهر البستان ونزهة الاذهان، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 1260 د ، 83-85.

50 - انظر : الفهري ، المصدر السابق ، ورقة 17 .

51 - نفسه ، ورقة 18 أ ،

52 - عن التين الدنقال الذي استجلبه الغزال من القسطنطينية انظر : ابو الخير الاشبيلي ، كتاب الفلاحة ، نشر القاضي التهامي الناصري الجعفري ، فاس 1357 هجرية ، 111 . وعن كثرة اجناس التين واصنافه بالاندلس راجع : الفهري ، المصدر السابق ، ورقة 18 أ .

53 - راجع : مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، ورقة 29 أ .

54 - انظر : الفهري ، المصدر السابق ، ورقة 19 أ .

55 - الضبي، بغية الملتمس، القاهرة، 1967 ، 308 ؛ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ليبيا/ تونس ، 1981 ، ق 4 ، م 1، 32 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في اخبار المغرب ، تحقيق سعيد العريان - محمد العربي العلمي ، القاهرة ، 1949 ، 34 .

والردم [56] التي تكتسي أهمية خاصة في الإعداد للموسم الفلاحي ، "تذكير التين" [57]، وتقنيات التكبيس والتغطيس [58] التي تقتضي الحفر حول الدالية لاخراج قضبانها ، الى غير ذلك من عمليات التركيب التي تنوعت وتعددت بشكل مثير للانتباه . منها : "تركيب النشر والشق" [59] الذي خصصت لبيانه فصول باكملها في عدد من المصنفات الفلاحية. كما نذكر" تركيب البرنية" [60] و" تركيب الترقيع" [61]و"تركيب القنوط" [62] التي لا تقل المعلومات المتوفرة بخصوصها اهمية. ناهيك عن الثروة الهائلة من المصطلحات التقنية واسماء الآلات الزراعية الكفيلة بدفع المعرفة التاريخية المعاصرة الى مراجعة عدد من التصورات الراسخة حول طبيعة ومستويات التطور الاقتصادي التي تحققت في المجتمعات الاسلامية الوسيطة . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر" المرجيقل" [63] الذي يستعمل في وزن تسطح وانبساط الارض والحقول ، خاصة التي تخضع للتحويض ، وتعتمد على الري بواسطة المياه الجارية . كما نشير الى " الجاروف" [64] والـ" ميجم الصغير الخفيف" [65] و "المنقار الواسع الفم" [66]و "المنشارالحاد الرقيق الضرس" [67] و "الزبر

56 - خصص الطغنري فصلا من كتابه لتفسير هذه العملية التي تشبه عملية القلب والتزبيل السالفة الذكر. وفي تعريف ملخص ذكر بان "الردم هو الاستنباط وهو يقوي الارض الرقيقة والارض الهزلة كالزبل" المصدر السابق ، 38.

57 - ابو الخير الاندلسي ، كتاب الفلاحة ،109.

58 - انظر : مجموع في الفلاحة ، ورقة 28.

59 - انظر : الطغنري ، المصدر السابق ،189.

60 - نفس المصدر والصفحة .

61 - نفس المصدر والصفحة .

62 - نفس المصدر والصفحة .

63 - ابن بصال ، كتاب الفلاحة ، نشر ميلاس بلاكروسا / محمد عزيمان ، معهد مولاي الحسن، تطوان ، 1955 ، 55. انظركذلك : مجموع في الفلاحة ، ورقة 12 أ .

64 - ابن بصال ، المصدر السابق ، 55.

65 - الطغنري ، المصدر السابق ،189 .

66 - نفس المصدر والصفحة .

67 - نفس المصدر والصفحة .

الحادة الرقيقة الافواه" (68) و" المزابر الحادة " (69) و" المنجل الحاد" (70) و "منجل الحصاد" (71)و "المناقش" (72) المختلفة الاشكال ، مثل " المناقش العقالية" (73) وغيرها . وفضلا عن سكك المحاريث (74) و"المغرف المثقب" (75)و" المسحات" (76) التي يضرب بها الحفار، والفؤوس المختلفة الأشكال ، مثل "الفأس المنشار الحلق" (77) و"القربال (78)، تتعدد "البرنيات (وهي) على أنواع من الرقة والغلظ للثقب" (79) . وبالاضافة الى هذه الترسانة من الادوات الفلاحية ، توفر بقية المصادر القديمة - وان كان بشكل متناثر - امكانات الاطلاع على مزيد من المصطلحات المماثلة . بل ومن اهل القلم القدامى من تجرد لوضع لوائح وتخصيص فصول ضمن مصنفاتهم لـ "معرفة الآلات" (80).

وبخصوص علم التربة ، غالبا ما دأبت كتب الفلاحة على التمييز بين " عشرة انواع ، يوصف كل نوع منها بصفة" (81) . كما نتعرف من خلالها على

---

68 - نفس المصدر والصفحة .

69 - نفسه ، 172.

70 - نفسه ، 173.

71 - نفسه ، 183.

72 - مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 67 ب .

73 - ابن بصال ، المصدر السابق ، 83.

74 - مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 53 أ .

75 - نفسه ، 112 ب .

76 - نفسه ، 122 أ .

77 - نفسه ، 119 أ .

78 - نفس المصدر والورقة .

79 - الطغنري ، المصدر السابق ، 190 .

80 - انظر : ابن قتيبة ، ادب الكاتب ، تحقيق محمد الدالي ، بيروت ، 1982, 178-79.

81 - مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، ورقة 4 أ ، وهي بالتحديد كالتالي : 1 - التربة اللينة ، 2 - الغليظة ، 3 - الجبلية ، 4 - الرملية ، 5 - السوداء ، 6 - المدمنة المخترقة الوجه ، 7 - البيضاء ، 8 - الصفراء ، 9 - الحرشا المهرسة ، 10 - المكذنة المائلة الى الحمرة .

مختلف انواع السرقين [82] المستعملة في التخصيب . وبصرف النظر عما يند عن الحصر من اسماء مختلف المستحضرات الطبية والصيدلية ، تقدم كتب الأغذية والاشربة ، والفصول المتعلقة بهذا الموضوع ضمن كتب الفلاحة معلومات هامة عن عدد من الوصفات ، نخص منها بالذكر مستحضر المري [83] الذي تختلف انواعه حسب المواد المستعملة وطريقة الاعداد . ومن اشهر الاصناف التي نتوفر بخصوصها على وصفات مدققة الموازين ، مضبوطة المقادير ، محددة على مستوى التهييئ وطرق الاعداد نذكر : " مري الصيرو " [84] و " مري النقيع " [85] و " مري المسطار " [86] و " مري الحوت " [87] و " مري العامة " [88] .

وبصرف النظر عن الاشارات المتناثرة في عدد من المظان ، تدقق المصنفات الفقهية بشكل مثير للانتباه في مضامين مختلف المصطلحات المرتبطة بالارض والفلاحة . ففيما يتعلق بالمعاملات العقارية ، كثيرا ما افردت الابواب والفصول لتحديد مختلف اشكال وانواع الاقطاع [89] و ضبط معاني التحبيس والحيازة [90]

82 - نفسه ، ورقة 9 ب .

83 - لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع : D. Wines, "Murri the Tale of a condiment", *Al-Qantara*, Vol. XII, fasc. 2, Madrid, 1991, pp. 371-88.

84 - انظر : مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، ورقة 112 ب . لمزيد من التفاصيل عن صناعة المري راجع : الطغنري ، المصدر السابق ، 56.

85 - مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، ورقة 111 .

86 - نفسه ، 110 أ .

87 - نفسه ، 109 ؛ انظر كذلك : الطغنري ، المصدر السابق ، 56.

88 - مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 110 ب .

89 - الذي ظل الى عهد قريب من الالفاظ المثيرة للجدل ، مع العلم انه من المصطلحات الفقهية التي قدمت بشانها تعاريف جد مفصلة . راجع بهذا الخصوص : ابراهيم القادري بوتشيش ، اثر الاقطاع في تاريخ الاندلس السياسي ، الرباط ، منشورات عكاظ ، 1992 ، 37-39.

90 - انظر على سبيل المثال كتاب الاحباس ضمن كتاب القاضي عياض وولده محمد ، مذاهب الحكام في نوازل الاحكام ، تحقيق محمد بن شريفة ، بيروت ، 1990 ، 193-207 ؛ راجع كذلك : ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، تحقيق ب . شالميتا / ف . كورينطي ، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد ، 1983, 171-85.

و " استحقاق الارض " [91] و " الصك بتحرير الاملاك " [92] وبيان مختلف اشكال " الغصب والتسور والاستطالة " [93]. ولا تقل التفاصيل دقة ووضوحا ، إن لم نقل مغالاة فيما يتعلق بتحديد اشكال الاستغلال الفلاحي مثل : المغارسة [94] والمزارعة[95] والمساقاة والمجاعلة [96]. وبخصوص المغارم والجبايات ، وبصرف النظر عن مضامين الجزية والخراج التي غدت من الابجديات ، تطالعنا المصادر الاندلسية بتفاصيل عن اصناف من المستحقات ، مثل الطعمة [97] والانزال [98] والخرص والقبالة [99] اضافة

---

91 - الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الرباط ، 1981, 171, 25.

92 - ابن عبد الملك المراكشي ، كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، 1973 ، س6, 368.

93 - ابن سهل ، كتاب الأحكام الكبرى ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 838 ق ، 218.

94 - انظر على سبيل المثال : ابن العطار ، المصدر السابق ، 73-81.

95 - نفسه ، 58-72 راجع كذلك : القاضي عياض ، المصدر السابق ، 234.

96 - ابن العطار ، المصدر السابق ، 473-75. ولقد اورد محمد بن عبد المنعم الحميري مثالا دالا من امثال عامة اشبيلية عن الجعل ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، 1984, 393. لمزيد من التفاصيل عن الجعل والمجاعلة راجع : ابو الوليد الباجي ، فصول الاحكام ، تحقيق محمد ابو الاجفان ، الدار العربية للكتاب ، 1985, 249.

97 - ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابياري ، 44 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، 33.

98 - ابن الخراط الاشبيلي وابو محمد الرشاطي ، الاندلس في اقتباس الانوار وفي اختصار اقتباس الانوار ، تحقيق اميليو مولينا/بوش فيلا ، المجلس الاعلى للابحاث العلمية ، مدريد ، 1990, 141.

99 - ورد في الآية الكريمة من سورة يونس قوله تعالى : "وان هم الا يخرصون" . عن الخرص والقبالة انظر : ابن عبدون ، كتاب الحسبة ، نشر ليفي بروفنسال ، *Journal Asiatique*, 1934, p. 76 et pp. 220-21. ويقدم ابن سهل عددا من النوازل المتعلقة بالتحبيس والقبالة بالاندلس خلال عصري الخلافة والطوائف ، المصدر السابق ، مخطوط رقم 1728 د ، ورقتي 85-86.

الى عدد متنوع من المغارم والوظائف والقطائع [100]. وخلال عصر الطوائف استحدثت اصناف جديدة من المكوس نذكر منها "جزية على رؤوس المسلمين يسمونها القطيع" [101].

ولعل في هذا الفيض من المصطلحات ما يدل على ان مكامن القصور في استجلاء جوانب من التاريخ الحضاري للغرب الاسلامي ، لا ترتبط بشح المادة التاريخية ومشاكسة الادوات المفاهيمية ، بقدرما ترتبط بتقاعس قطاعات من الفكر التاريخي المعاصر عن استكناه مختلف المستويات المعرفية التي تقدمها المكتبة العربية الاسلامية ، مع تغليب الجدال والميل نحو التامل النظري .

مع ذلك ، فالملاحظ ان المعاملات التجارية والمالية المرتبطة بالفلاحة وبغيرها من الأنشطة الإقتصادية ، قد حظيت بعناية وافرة من طرف المشرعين وغيرهم من اهل القلم القدامى . يتجلى ذلك من خلال ما خصصوه من ابواب وفصول بل ومصنفات لبيان مختلف جوانب الموضوع ، مما اسفر عن ثروة هامة من المصطلحات والمفاهيم ، لم تخضع بعد لما تستحقه من عناية . نذكر منها مصطلح "رأس المال" [102] الذي شكل مع لفظ الاقطاع ، احد اهم مصطلحات الفقه الاسلامي الوسيط ، التي ظلت الى حين تثير جدالا - إن لم يكن لجاجا - واسعا في اوساط المهتمين .

---

100 - عن مغرم " الثغور والدروب " انظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ق 2 ، م 1 ، 335 وعن " ضريبة الخشب والزفت والقطران" راجع ابن حيان ، كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس ، نشر عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، 1965 ,101. ويتواتر في عدد من الحوليات التاريخية ذكر "مغرم الحشد" وغيره ، انظر : نفسه ، 207 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان / بروفنسال ، بيروت ، 1980 ، ج 2 ، 109.

101 - ابن حزم ، رسالة التلخيص لوجوه التخليص ، ضمن الرسائل ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، 1981 ، ج 3 ، 176.

102 - وهو من المصطلحات الشائعة الاستعمال في المصادر الفقهية ، انظر على سبيل المثال : ابن رشد ، الفتاوي ، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، بيروت ، 1987 ، ج 2 ، 934-35 ;ابن سهل ، المصدر السابق ، مخطوط ، 838 ق ، 153؛ الجزيري ، كتاب الوثائق ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 592 ق ، ورقة 102 أ .

ولا تقل اهمة مصطلح "الشركة" المرتبط اساسا، بالاضافة الى استعمالاته الفلاحية [103] بالتجارة والصناعة الحرفية. ولقد كان الفشتالي [104] دقيقا في الكشف عن الطابع التثمري لهذا النظام إذ قال: " واعلم ان الشركة للربح والكسب وابتغاء الفضل". وشرعيا، "تنعقد الشركة باللفظ وخلط المال" [105]. ولقد اختلف القدامى في تحديد انواع الشركات، منهم من اعتبر بان " الشركة على ضربين: الشركة بالاموال والابدان" [106]، بينما قسمها البعض الى" ثلاثة اقسام: شركة اموال وشركة ابدان وشركة وجوه وهي شركة الذمم" [107]. وفضلا عن "شركة الصناعة" [108]، التي تعتبر شكلا متميزا، اضاف ابو القاسم الجزيري [109] انه " تصح الشركة بالعروض بعد التقويم ". والجدير بالملاحظة ان الصنف المعروف بشركات الاموال وحده "ينقسم الى ثلاث اقسام: شركة مفاوضة وشركة مضاربة وشركة عنان" [110]. وتقدم كتب الوثائق والسجلات والنوازل والاحكام الفقهية فيضا من المصطلحات المرتبطة بمختلف المعاملات التجارية والمالية، مثل: السلم [111] والرهن [112]

103 -عن عقد شركة في حرث، راجع: الجزيري، المصدر السابق، ورقة 102 ب؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج 4، 220؛ ابن رشد، المصدر السابق، ج 1، 191.

104 - تذكرة في علم الوثائق، مخطوط الاسكوريال، رقم 1163، ورقة 102 أ.

105 - الجزيري، المصدر السابق، ورقة 102 أ.

106- الازدي، المفيد للحكام، مخطوط المكتبة الوطنية، باريس، رقم 1076، ورقة 124 أ.

107 - الفشتالي، المصدر السابق، ورقة 82 أ.

108 - المصدر السابق، ورقة 102 أ.

109 - نفس المصدر والورقة.

110 - الفشتالي، المصدر السابق، ورقة 82.

111 - عن دلالات ومعاني وطرق عقد السلم، انظر: الجزيري، المصدر السابق، ورقة 82 أ؛ القاضي النعمان، كتاب الاقتصار، تحقيق محمد وحيد ميرزا، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1957-86.

112 - عن بعض نوازل الرهن انظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج 6، 490 و 496. ولقد خصص القاضي عياض حيزا من كتابه مذاهب الحكام للموضوع تحت عنوان: كتاب الرهون، المصدر السابق، 231.

والقـراض [113]، والضمان في السـلف [114] والتسعير [115] الذي حظي باهتمام ملحوظ منذ عهد مبكر إضافة للتبضيع [116] وتضمين الصناع [117]، جميعها مفصلة المعاني والدلالات . كما تميز المصادر القديمة بين رب المال والعاملين [118] والأجراء [119] والمستأجرين [120] وبين التثمير والاستئجار [121] . ولا تعوز التفاصيل عما كان يحدث من "اختلاف بين الاجير والمستأجر في ايام البطالة" [122] الواجبة للعمالين ، أو عما قدينشب من خلاف حول ساعات العمل [123] وتشغيل الصبيان [124] وغير ذلك من المسائل .

113- عن بعض مسائل القراض انظر : ابن الحاج ، كتاب النوازل، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم ، 55 ج ، 277.

114 - الفشتالي ، المصدر السابق ، ورقة 91 أ .

115 - ابن سهل ، المصدر السابق، 838 ق ، 289 . ومن المعلوم ان قضية التسعير قد حظيت باهتمام ملحوظ منذ عهد مبكر من طرف التشريع الاقتصادي ، ولقد رويت عن الرسول (ص) عدة احاديث بهذا الخصوص .

116 - لمزيد من التفاصيل عن طبيعة هذه العملية راجع : ابن رشد ، المصدر السابق ، ج3، 1496.

117 - فبصرف النظر عن الفصول المخصصة لهذا الموضوع ضمن عدد من كتب الاحكام الفقهية ، من المعروف ان القدامى قد افردوا مصنفات لهذا الجانب الذي يمس احدى اهم شرائح العامة ، نذكر منها كتاب ابن رحال المعداني ، تضمين الصناع ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 2198 د .

118 - ابن الحاج، المصدر السابق ، 277 ، والمفرد منه "العامل" انظر : الازد ي ، المفيد للحكام المصدر السابق ، ورقة 131 أ واحيانا ترد في الجمع " العمالين" نفس المصدر والصفحة .

119 - نفس المصدر والصفحة ؛ ابن رشد ، المصدر السابق ، ج 2، 935؛ الجزيري ، المصدر السابق ، 79 أ .

120 - الجزيري ، نفسه ، 99 أ .

121 - نفسه ، 97 أ .

122 - نفسه ، 99 أ .

123 - ابن عبدون ، المصدر السابق ، 246-47.

124 - الجزيري ، المصدر السابق ، 97 إذ يقول : " اجر فلان ابنه فلانا الصغير في حجره . . ليعمل له في تحويل غزل الكتان" .

لعل في هذه المؤشرات ما يدعو الى التحفظ مما شاع وترسخ في الفكر التاريخي المعاصر بكون الرأسمالية والانظمة المرتبطة بها قد نشات لأول مرة في التاريخ بأروبا الغربية انطلاقا من المدن الإيطالية خلال بدايات العصر الحديث ، وما يقدم العناصر الكفيلة بالشروع في دراسة ميلاد وتطور النظام التثميري التعاقدي بالغرب الإسلامي ، باعتباره الحلقة المغربية لأول شكل تاريخي للنظام الرأسمالي .

إن في مجموع المصطلحات السالفة ، ما يكشف ليس فقط عن قدرة الالفاظ العربية القديمة الأصول على مواكبة المستجدات وتوسيع مجالات الدلالة لتشمل حقولا ومستويات أرحب ، بل وكذلك على تأهب اللسان العربي - على الأقل خلال القرون الخمسة الهجرية الاولى - لخلق وابداع مصطلحات جديدة . والجدير بالملاحظة ان اللغة العربية قد برهنت خلال فترات تألقها على قدرات هامة لاحتواء مصطلحات أعجمية مختلفة الأصول ومتنوعة الشكل والرسوم . ومن المعروف أن كثيرا من الالفاظ الأعجمية قد اندمجت منذ فترة مبكرة في لغة العرب وتكيفت مع أبنيتها . ولقد برهن الجواليقي [125] بهذا الخصوص عن سطحية القول بنقاوة أصول اللغة العربية ، اعتمادا على فهم مبسط لقوله تعالى : "وانا جعلناه قرآنا عربيا" . وبدل الانخراط في جدال عقيم حول الشكليات ، أشاد الجواليقي بتفوق علم وحجج القائلين بتضمن القرآن لـ"احرف كثيرة . . . من غير لسان العرب" ، ثم صاغ موقفا توفيقيا يقر بـ" أن الحروف بغير لسان العرب في الأصل . . . ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته ، فصار عربيا بتعريبها اياه ، فهي عربية في هذه الحال أعجمية الاصل " [126] .

وتزخر كتب لحن العامة [127] والمصنفات النباتية [128] وغيرها بالامثلة الكاشفة عن التعديلات التي مست عددا من الألفاظ الأعجمية لتصبح بعدئذ عربية أندلسية

---

125 - المعرب في الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق ابو الاشبال/ احمد محمد شاكر ، القاهرة ، 1361 هجرية ، 4-5.

126 - نفس المصدر والصفحة .

127 - انظر : الزبيدي ، المصدر السابق ، 15 و23 .

128 - A. Palacios, *Glosario de voces romances registrados por un botanico anonimo hispano- musulman (siglos XI-XII)*, Madrid, 1946, p. 222.

منسجمة مع القواعد والأبنية الفصحى. ومن المعلوم في مجال التداخل اللغوي أن الناس "كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى أقربها مخرجا"[129] حتى أصبح من المتعارف عليه بين النحاة أن "الابدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم[130].

من الطبيعي في ظل هذا التفاعل اللغوي أن تثار أمام النحاة إشكاليات وقضايا مستجدة، لم يتقاعسوا عن معالجتها بكل حزم "ليعرف الدخيل من الصريح"[131] و"يحترس المشتق فلا يجعل شيئا من لغة العرب لشيء من لغة العجم"[132]. وامعانا في ضبط مكامن التأثير والتأثر، ورغبة في ضمان احتفاظ اللغتين المتفاعلتين بشخصيتهما الكيانية، تجرد احدهم للتصنيف في الاشتقاق لبيان "ما ينبغي ان يحذر منه كل الحذر ان يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى ان الطير ولد الحوت"[133]. في حين خصص غيره[134] مصنفا يطمح الى ضبط بعض الالفاظ مـ"ما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمي"، ولم يتقاعس البعض[135] عن تتبع مختلف المصطلحات الاعجمية بالجرد والتأصيل.

مع ذلك، يبدو ان التفاعل اللغوي بين العربية الفصحى والاعجميات المتعايشة كان اقوى من قدرات النحاة على المتابعة والضبط. وهو ما كشف عنه ابن

129 - الجواليقي، المصدر السابق، 6.

130 - نفس المصدر والصفحة.

131 - نفسه، 3.

132 - نفس المصدر والصفحة.

133 - والمقصود هنا رسالة ابي بكر بن سراج التي وضعها في الاشتقاق، انظر: نفس المصدر والصفحة.

134 - والمقصود هنا مصنف الجواليقي "المعرب في الكلام الاعجمي على حروف المعجم". المصدر السابق.

135 - الاشارة هنا لابن كمال باشا الذي وضع "رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الاعجمية" مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 94. يذكر ضمن هذه الرسالة من المصطلحات الفارسية التي عربت: الدرهم واصله درم، والآجر فارسي معرب، والدهقان معرب من ده خان، وكذا الحزم، الشطرنج، الزنديق، البريد، السرادق... الخ. ومن المعلوم ان التأثيرات اللغوية الفارسية في العربية الفصحى لها جذور في الجاهلية، علما بالتفاعل الثقافي والحضاري بين بلاد فارس وشبه الجزيرة العربية. ولا يقل القرن الثاني الهجري خلال العصر الذهبي للدولة العباسية اهمية بهذا الخصوص.

سيدة [136] في نص بالغ الدلالة إذ قال معترفا بالقصور - على مكانته ضمن مشاهير علماء اللغة - : فان اللغويين مثل "الاصمعي والمفضل وابي عبيدة والشيباني قد غلطوا باشياء تسكعوا فيها في عمياء ، هذا ولا يعرفون علما سواها ولا يحتملون من العلوم شيئا ما خلاها فكيف بي مع تاخر أواني وبعد مكاني ومصاحبتي للعجم " .

ويبدو ان التأريخ للسان العربي، بتتبع دقائق وتفاصيل تأثيره وتأثره خلال مرحلة تألقه الممتدة طوال القرون الخمس الهجرية الاولى، كفيل بتقديم المؤشرات الكاشفة عن قدراته على ادماج عديد من المصطلحات الفارسية [137] في الابنية العربية. ينطبق نفس الشيء على عدد من الالفاظ اللاتينية [138] واليونانية التي تمكنت من التكيف مع بنيان اللغة العربية الفصحى وولوج قواميسها [139]. ولا تقل أهمية المؤشرات المتوفرة لدينا بهذا الخصوص فيما يتعلق بالأمازيغية [140] والرومانس [141]،

136 - المخصص ، تحقيق لجنة التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج 1 ، 14.

137 - انظر : ابن كمال باشا، المصدر السابق، أماكن متعددة .

A. Palacios, *Glosario ...*, op. cit., p.25 et 179 et 303. - 138

Ibid., p.25 et 102 et 178. - 139

انظر كذلك : الغافقي ، المرشد في طب العيون ، تحقيق حسن علي حسن ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، 1987, 408-409؛ الحريري ، نهاية الافكار ونزهة الابصار ، تحقيق حازم البكري/مصطفى شريف العاني ، العراق ، دار الرشيد للنشر، ق1، 195, 197 وكذلك : ق 2، 1980, 61-62.

A. Palacios, *Glosario ...*, p. 175 et 380 - 140

ويقدم هذا الكتاب في اماكن متعددة مجموعة هامة من المصطلحات الامازيغية الشائعة الاستعمال خلال القرون الذهبية بالاندلس ، بحيث تصلح ان تتخذ منطلقا لبحث لغوي خاص عن حلقات التفاعل اللغوي بين الامازيغية والعربية الفصحى في اطار الحضارة العربية الاسلامية الوسيطة .

141 - يكشف النباتي الاندلسي المجهول عن عدد هام من الالفاظ الاندلسية والرومانسية والعجمية المتداولة بداخل الاندلس وبالمناطق الثغرية ، مما يفسح المجال للبحث في الخريطة اللغوية بالبلاد الاندلسية . ويبدو ان هذا الموضوع لم ينل بعد ما يستحقه من اهتمام . وتقدم بقية المصادر المتداولة امكانات مشجعة على السير بالبحث المرتبط بعلم الاجتماع اللغوي الى مستويات ارقى ، انظر على سبيل المثال: ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، نصوص لم تنشر ، عبد السلام شقور ، طنجة ، 1988, 28 ؛ ابن بسام، المصدر السابق ، 340 حيث وردت لفظة " الشبين " العجمية في السياق وكأنها لفظة شائعة في الكتابة بالعربية الفصحى .

بل وحتى المغولية [142] . والجدير بالملاحظة أن كثيرا من أهل القلم القدامى قد دأبوا فى بعض مصنفاتهم على وضع المقابل للمصطلح العربي في مختلف هذه اللغات . ولم يأنف بعضهم من التماس المقابل لعدد من المصطلحات الفصحى في الالسنة المحلية [143] ان لم يكن لدى عامة اهل البوادي [144] . بل وحتى لدى النساء ممن اصطلحن على وضع الفاظ خاصة ببعض شؤونهن [145] .

لم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل سرعان ما تحولت اللغة العربية الى نهر واسع وغزير - إن صح التعبير - يستقبل في شكل جداول زبد عاميات مختلف الشعوب المنضوية تحت ظلال الحضارة العربية الاسلامية . وليس أدل على ذلك من كون بعض مشاهير المصطلحات المتأصلة الاستعمال في اللغة العربية العالمة هي في الاصل عامية المنشأ .

نذكر على سبيل المثال مصطلح السياسة الذي كان في وضع ورسم آخر" فثقل ذلك على العامة فعربوها بتغيير الترتيب فقالوا سياسة " [146] . وبالمثل فـ" قول العوام شيء أزلي أي قديم ويصفون الله تعالى بالأزلية ، وكل ذلك خطأ لا أصل له في العربية" حسب تأكيد ابي هلال العسكري [147]. ومن المعلوم ان مصطلح الأزلي

---

142 - ابن كمال باشا ، المصدر السابق ، 528.

143 - كثيرا ما ورد لدى النباتي الاندلسي المجهول القول بان المقابل للفظ الفلاني في "لغة إشبيلية" كذا ، وفي "عجمية الثغر" كذا و" يسمى بغربنا" كذا ، . . . الخ ، انظر : A. Palacios, *Glosario ...*, op. cit., p.165 et 167 et 305.

144 - كثيرا ما وردت في نفس هذا المصنف العبارات التالية : "واهل البادية تسميه . . . " ص 143 و "اهل البادية يسمونه . . . " ص 175 و "يسميه اهل بادية طليطلة . . . " ص 306 و "بعض اهل الجبل يسميه عندنا . . . " ص 314 وهكذا دواليك ، مما يكشف عن خيوط هامة للتنقيب في التنوع اللغوي بين المدن والبوادي ، وعلى مستوى الكور والاقاليم بالأندلس .

145 - عن لغة وبعض المصطلحات الخاصة بالنساء راجع : .Ibid. p. 143 et 305

146 -المصدر السابق ، 528.

147 - انظر : ابن الجوزي ، تقويم اللسان ، تحقيق عبد العزيز مطر ، القاهرة ، دار المعارف ، 1983, 78.

والازلية قد شغل حيزا هاما في اعمال الفلاسفة والمتكلمين وعلماء التوحيد. ولقد ذكر صاحب حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار [148] ان " الريحان في الحقيقة هو كل ما فيه رائحة عطرية من الاشجار والنبات ، إلا ان العامة غلبوا هذا اللفظ وجعلوه علما في هذا النوع من الشجرالذي هو الآس" . ويكشف ابن سيدة [149] في نص بالغ الاهمية عن الدور الفعال الذي لعبه العامة على مستوى نحت وصياغة المصطلحات والألفاظ ذات المحتوى الاقتصادي بالقول : "هذا ما نشاهد الى الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء" .

لم تذخر الكتب المصنفة في "تحقيق تعريب الالفاظ الأعجمية" وسعا في ضبط هذا الجزء من الثروة اللغوية حتى ينسجم مع القواعد المتعارفة . كما حاولت الكتب والفصول الموضوعة في لحن العوام [150]، التحكم في التفاعل بين المستويين العامي الشفوي والكتابي العالم حسبما تقتضيه طبيعة النسقين .

صفوة القول - ان تاريخ اللسان العربي يقدم من الدلائل والقرائن ما يفصح عن سذاجة القول بنقاوة المصطلحات والتعابير والمفاهيم التي احتضنتها اللغة العربية الفصحى. ولعل في قابليتها لاستيعاب زبد مختلف الالسنة المتفاعلة ، والتجرد لروك ذلك حتى ينسجم مع قواعدها، ما يكشف عن بعض مكامن القوة التي بوأتها مركز الصدارة ، وجعلت منها لغة الثقافة العالمة وحاوية الحضارة الانسانية خلال العصر الوسيط . يتجلى ذلك بوضوح من خلال قراءة واسعة في متون كتب الطب والفلاحة ببلاد المغرب، التي تساهم في إلقاء أضواء كاشفة عن هذه الحقيقة وتنبه الباحثين في اللسان العربي على مخاطر انغلاق البحث اللغوي في إطار النص الشعري والأدبي والشرعي، ومزايا توسيع مجال الإهتمام ليشمل حقل العلوم .

---

148 - الغساني ، المصدر السابق ،9.

149 - المخصص ،5.

150 - وهو ما تناولناه بتفصيل في بحث سابق عن "ادب لحن العوام بالمغرب والاندلس : قراءة وتقويم" ضمن : دراسات ومباحث في تاريخ الاندلس، عصري الخلافة والطوائف، البيضاء، 1993 ,19-33.

المبحث الثاني :

البعد الفلسفي و الممارسة التجريبية في الصناعة الطبية

حقيقة أن ثلة من الدارسين قد انتبهوا منذ مدة إلى غزارة وتنوع التراث العلمي الذي خلفته الحضارة العربية الإسلامية . منهم من اتجه الى الكشف عن مكانة الطب والأطباء بالاندلس [1] من خلال تتبع تراجم أعلامهم ، ونشر بعض مصنفاتهم ، ومحاولة تضمين الحلقة الاندلسية في سياق تاريخ الطب العربي عموما . ومؤخرا تبلورت بعض بوادر الاحساس بعمق درجة الإهمال الذي طال هذا الحقل المعرفي ، مما دفع ببعض المهتمين، ليس فقط إلى التعجيل بوضع مجموعة من النصوص المنتقاة في التداول [2]، بل وكذلك إلى الإنكباب على تحقيق عدد من المصنفات[3] التي ساهمت في تعزيز الرف الطبي ضمن المكتبة الأندلسية . مع ذلك ، فالجدير

1- فبالمغرب الأقصى ، أبدى محمد بن أحمد العبدي اهتماما ملحوظا بهذا الموضوع منذ بدايات هذا القرن فألف كتابه : تاريخ الطب العربي بالمغرب ، مخطوط الخزانة الخاصة للعلامة محمد المنوني وبخط يده . وبخصوص عناوين مئات الأبحاث التي أنجزت حول الطب العربي عموما ، من بينها كتابات عن الطب بالأندلس والغرب الإسلامي ، انظر اللائحة المفصلة التي أنجزها : F. Segura Perés y I. Lozano Camara, *Ciencias de la Naturaleza en Al Andalus,* II, Serie Biográfica, C. S. I.C. Madrid, 1992, pp. 131-79.

2 - نخص منها بالذكر النصوص العشر المنتقاة من بعض المصادر الطبية التي ضمنها محمد العربي الخطابي كتابه حول : الطب والأطباء في الأندلس ، بيروت ، 1988 وكذا المقتطفات الطبية التي نشرها وأخضعها للدراسة كل من :

J. Ch. Sournia, *Medecins arabes anciens X° et XI° siècles,* Paris, 1986 et A. Dietrich, *Medicinalia Arabica,* Der Akademie Schaften, Gottingen, 1966.

3 - منها كتاب عبد الملك بن زهر ، التيسير في المداواة والتدبير ، تحقيق ميشيل الخوري ، دمشق ، 1983 ومصنف محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي ، المرشد في طب العيون ، تحقيق حسن علي حسن ، بيروت ، 1987 وكذلك كتاب عبد الله بن قاسم الحريري الاشبيلي ، نهاية الأفكار ونزهة الأبصار ، تحقيق حازم البكري مصطفى شريف العاني ، العراق ، ق1 ، 1979؛ ق2، 1980 . ومن ضمن منشورات المجلس الاعلى للأبحاث العلمية صدر النص المحقق مع الترجمة الاسبانية لكتاب : عبد الملك بن حبيب ، مختصر في الطب ، تقديم وترجمة وتحقيق ، كاميليو الباريث دي موراليس وفرناندو خيرون ، مدريد ، 1992. ومؤخرا صدر كتاب ابن زهر ، المجربات ، تحقيق ودراسة وترجمة ، كريستينا الباريث ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مدريد ، 1995 .

بالملاحظة أن عددا من المكتبات ودور الارشيف تحتفظ بثروة هامة من الكتب المخطوطة والرسائل والأراجيز والمجامع المتعلقة بمختلف الفروع والتخصصات الطبية [4]، ما زالت في انتظار حقها من العناية بالدرس والتحقيق.

وتزخر المصادر العربية بالقرائن الكاشفة عما تعرض له هذا الصنف من التأليف، وكل ما له علاقة بالفلسفة والحكمة، من متابعة بالحرق والإتلاف. مما يؤشر على أن حجم المفقود من هذا التراث أوسع بكثير من الجزء المحفوظ الذي تمكن من مقارعة أهوال عصر الانحطاط ليصل الينا سالما. فمن المعروف ان المنصور بن أبي عامر قد أقدم منذ أواخر عصر الخلافة على إتلاف ذخائر مكتبة الحكم المستنصر، وأمر " بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل حاش كتب الطب والحساب، فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والأشعار والأخبار والطب، والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم المباحة بمذاهب أهل الاندلس. . . أمر بإحراقها وإفسادها، فأحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة، وغيرت بضروب من التغايير " [5]. على غراره، وطد السلطان

---

4 - راجع فهارس المكتبة الحسنية والمكتبة العامة بالرباط ومحتويات المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان لتلمس حجم التراث الطبي المتعلق بالاندلس ومجموع الغرب الاسلامي الذي مازال مخطوطا. ولقد وضع عبد العزيز بن عبد الله منذ مدة ضمن كتابه، الطب والأطباء بالمغرب، المطبعة الاقتصادية، 1960 جردا ببعض ما تحتويه المكتبات المغربية من المصنفات الطبية المخطوطة. ولا تقل محتويات مكتبة الاسكوريال أهمية. وبرغم الجهود التي بذلت بهذا الخصوص مازالت جملة من النصوص الهامة تنتظر مكانها تحت دائرة الضوء. عن لوائح المخطوطات الطبية العربية المحفوظة بعدد من دور الارشيف الباكستانية وبالمكتبة الطبية الوطنية بواشنطن وضمن وثائق الجنيزة الشهيرة بالقاهرة راجع مقالات كل من: M. L. Souryal et S. K. Hamarneh et P. B. Fenton, voir : F. Segura y I. Lozano Camara, *Ciencias de la naturaleza ...*, op. cit., p. 144 et 148 et 160. ونتوفر على جملة من الملاحظات بالإضافة لعشرات المقالات التي أنجزت حول عدد من النصوص الطبية العربية عموما والأندلسية على وجه الخصوص، التي لا مجال لحصرها في هذا المقام.

5 - صاعد الاندلسي، طبقات الامم، تحقيق حياة العيد بولعوان، بيروت 1975، 163-64. لمزيد من التفاصيل عن سياسة المنصور بن ابي عامر تجاه اهل القلم راجع كتابنا: عامة قرطبة في عصر الخلافة، في أماكن متعددة.

المنصور الموحدي لاحقا العزم "ان لا يترك شيئا من كتب المنطق والحكمة باقيا في بلاده ، وأباد كثيرا منها بإحراقها بالنار وشدد في ان لا يبقى أحد يشتغل بشيء منها " [6] .

ولعل في إدراك الصلة الوثيقة التي كانت للتصنيف الطبي بالحكمة والفلسفة وعلوم الاوائل – على الأقل إلى حدود القرن الخامس الهجري – ما ينبه ، عكس ما يفهم من النص السابق ، على قلة المصنفات الطبية التي استفادت من الإستثناء العامري .

وتزخر كتب التراجم والطبقات ، ومتون ما وصلنا من المصنفات في الطب وعلوم الطبيعة ، بالتفاصيل حول الاهتمام الأندلسي بالطب عموما ، وبعناوين فيض من المصنفات التي وضعت في مختلف فروع هذا العلم ، مما يكشف عن الحجم الحقيقي للتراث الطبي الذي أصبح في حكم المفقود . فبصرف النظر عما عرف به الطبيب الطليطلي ابن البغونش من اهتمام "بكتب جالينوس (إذ) جمعها وتناولها بتصحيحه ومعاناته" [7]، اشتهر بكثرة ما ألفه من "كتب جليلة" [8] في الطب والحكمة . على غراره كان أبو بكر أحمد بن جابر غزير الإنتاج ، إذ " كتب بخطه كتبا كثيرة في الطب" [9] ، بينما يذكر ابن جلجل [10] من ضمن ما وضعه عمران بن أبي عمر من تصانيف "في الطب تاليفا كالكناش" . ولم يكن الطبيب القرطبي محمد بن الحسن بن الحسين أقل عطاء ، إذ اشتهر بكثرة ما وضعه من "كلام في الحكم والرسائل ، وكتب معروفة فائقة الجودة عظيمة المنفعة سليمة" [11]. كما ذاع

---

6 - ابن ابي اصيبعة ، كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ، 523, 1965.

7 - نفسه ، 496 ؛ انظر كذلك ، صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 195 .

8 - ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، 495.

9 - نفسه ، 492.

10 - طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، بيروت ، 1985, 98.

11 - ابن عبد الملك المراكشي ،المصدر السابق ، س6 ، 160 ؛ الضبي ، كتاب بغية الملتمس ، القاهرة1967, 67.

صيت أبي الصلت أمية بن عبد العزيز في الآفاق بجودة ما كان له من " تواليف تشهد بفضله ومعرفته " [12] بالفلسفة والطب والتلحين .

لم تقتصر المصادر الإخبارية على تقديم مثل هذه القرائن الببليوغرافية العامة ، بل كثيرا ما عمدت إلى إثبات العناوين الكاملة لبعض المصنفات . نذكر منها كتاب " الابريشم " [13] الذي وضعه يحيى بن إسحاق في " خمسة أسفار " [14]، والشروح التي ذيل بها الطبيب الإشبيلي أبو الحسن علي بن عبد الله " كتاب دياسقوريدوس " [15]، و" كتاب الاشكال " [16] من تصنيف محمد بن تمليخ في خلافة الحكم المستنصر. وقبل هذا التاريخ ، اتحف الطبيب عمر بن أبي عمرالخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر بأن " ألف له حب الأنيسون " [17]، الذي نسب لغيره من الاطباء [18]. ونتوفر على فيض من المعلومات بخصوص ما وضع في الطب من رسائل [19]

---

12 - المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1968 ، ج2، 105-106 . ومن المعلوم ان الموسيقى والسماع يرتبطان ارتباطا وثيقا بالحكمة والفلسفة . بل وهناك من القدامى من اهتم بدورهما في علاج بعض الحالات المرضية . وهي من المواضيع الهامة في الحضارة العربية الاسلامية التي ما زالت بحاجة الى البحث والتقصي .

13 - عن هذا الكتاب انظر التعاليق التي وضعها فؤاد سيد على هامش كتاب ابن جلجل ، المصدر السابق ، 92 وكذا التعقيب الذي خصصه محمد العربي الخطابي ضمن كتابه السالف الذكر ، ج1 ,12-13.

14 - ابن جلجل ، المصدر السابق ، 101 ؛ صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 187.

15 - ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س5، ق1، 239.

16 - ابن جلجل ، المصدر السابق ، 109.

17 - نفسه ، 98.

18- والمقصود هنا الطبيب القرطبي اصبغ بن يحيى ، وهو كذلك ممن خدم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، أنظر : نفسه ، 108.

19 - عن الرسائل الطبية المتبادلة بين الأندلسيين والمشارقة ، أنظر على سبيل المثال ما ذكره ابن جلجل عن " رسالة في البول " بعث بها الطبيب المصري نسطاس بن جريح إلى زميله خالد بن يزيد الأندلسي ، المصدر السابق ، 96.

واراجيز [20] ونوادر[21] ونسخ[22] ، اضافة لما يسجله الطبيب عادة من ملاحظات مـ" ما تمادى إليه بحسه " [23]، ومن تقارير عن " المجربات في الطب نافعة " [24] .

ولعل في إقدام الحكم المستنصر على " إقامة خزانة (متخصصة) بالقصر للطب لم يكن قط مثلها " [25]، ما يكشف ليس فقط عن غزارة ما وضعه الأندلسيون من مصنفات في الطب ، بل وكذا عن حجم ما تراكم لديهم مما جمعوه من كتب في هذا الميدان . دون ذكر ما يند عن الحصر من المصنفات والتقاييد التي يحتفظ بها الطبيب في " خزانة كتبه " [26] الخاصة .

ومن خلال إخضاع عينة من الإرث الطبي المحفوظ للدرس والتحليل، يتجلى تعدد المواضيع وتنوع المستويات التي طالها الاهتمام . فبصرف النظر عما يتعلق بفصول المعالجـة يذكر فيها السبب والعلامات والعلاج لما يتعلق بظاهر البدن

---

20 - نذكر منها أرجوزة سعيد بن إبراهيم بن محمد بن عبد ربه بن حدير الذي قال عنه صاحب الذيل والتكملة، المصدر السابق ، س4 ،25 : " وله أرجوزة مزدوجة دلت على تقدمه في الصناعة الطبية وتحققه بآراء قدماء أهلها " . ولقد أشار صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 187 إلى أهمية هذه الأرجوزة في سياق حديثه عن الطبيب المذكور بقوله : " وله رجز جليل " . وبخصوص هـذا الموضوع ، تحتفظ المكتبة الحسنية بالرباط بنـص " الأرجوزتين الحسنتين اللتين أبياتهما ألفين في صفة الإنسان ونعوت الحصان" ، مخطوط رقم 25، 57، من تأليف قاضي بلنسية ومرسية وعمليهما أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدى المعروف بابن المناصف ، وذلك بتونس المحروسة سنة أربع وتسعين وخمس مائة للهجرة .

21 - المقصود بالنادرة ، الوصفة الطبية التي يقدمها الطبيب المعالج للمريض ، راجع : ابن جلجل ، المصدر السابق ، 111.

22 - نفسه ، 102.

23 - نفسه ، 94.

24 - ابن عبد الملك المراكشي ،المصدر السابق ، س5 ، ق1 ,251-52.

25 - ابن جلجل ، المصدر السابق ، 113.

26 - ابن ابي أصيبعة ، المصدر السابق ، 518.

وباطنه من أمراض ، وما كتب في مجال الوقاية " لحفظ الصحة في الفصول " [27] ، وفي الفصد [28] والحجامة ، والجراحة والتشريح[29] والتخدير [30] ، تجردت المصنفات الطبية العامة للبحث في خصائص الجسم عموما وفـي الاختلافات حسب السن [31]، اذ دأب البعض على التمييز بين أربعة مستويات بهذا الخصـوص. كما وجه الاهتمـام للبحث في تنوع الاجنـاس ، وفي قوى الجسـم الطبيعيـة [32]

---

27 -انظر فيما يتعلق بهذا الموضوع : ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله ، كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول ، المصدر السابق . ومن المعروف أن الطبيب المصري الشهير ابن رضوان قد ألف في هذا المعنى : كتاب دفع مضار الابدان ، تحقيق ونشر عادل جمال ، مع مقدمة وترجمة انجليزية بقلم ، ميخائيل دولس ، جامعة كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، 1984 . وتحتفظ المكتبة العامة بتطوان ضمن مجموع في الطب بنص من تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الصنهاجي الموسوم ، المنافع البينة وما يصلح بالأربعة لازمنة ، رقم 826 (ضمن مجموع) . ويمكن الوقوف من خلال عدد من الأبواب والفصول على الإهتمام المشترك بين الطب والفلاحة بقضايا البيئة والمناخ ، لما لهما من تأثير في كلا الحقلين .

28 - الغافقي ، المصدر السابق ، 480.

29 - يعتبر كتاب التصريف للزهراوي أوفى ما وصلنا عن الجراحة والتصريف بالاندلس، وهو برأي عدد من المهتمين أقدم وأكمل كتاب في الجراحة ، ولقد حظي باهتمام ثلة من الباحثين ، انظر مثلا : .J. Ch. Sournia, *Medecins arabes ...*, op. cit., p. 156 .

عن التشريح وجراحة العظام راجع كذلك المعلومات التي يقدمها عبد الملك بن زهر ، المصدر السابق ، 123-24 .

30 - عن استعمال التخدير في الأعمال الطبية أنظر : الحريري ،المصدر السابق ، 204-205.

31 - ميز الزهراوي في فصل مخصص لهذا الموضوع ضمن كتابه التصريف تحت عنوان " فصل في الأسنان " بين أربع مستويات في سن الإنسان، أنظر ، قطعة مقتطفة من كتاب التصريف للزهراوي ، مخطوط المكتبة العامة تطوان ، (ضمن مجموع رقم826) ,68-74 .

32 - ميز عريب بن سعد في الناس بين " المحرورين وأصحاب الأبدان اليابسة إذا فتر اتعاضهم وقل ماؤهم" ، انظر : .J. Ch. Sournia, *Medecins arabes ...*, op. cit., p. 88

وفي مستوى أدق يتناول الغافقي بالتحليل المواد المكونة للعين وماء العين وغير ذلك من المحتويات، المصدر السابق ، 440.

والنفسية [33] ، وتأثير الاختلافات المناخية [34] والاقليمية [35] ، وفي اثر الاغذية والاشربة [36] والمحيط البيئي العام . كما افردت الابواب والفصول ، إن لم يكن مصنفات باكملها لذكر مختلف اعضاء البدن ، بتحديد انواع الامراض الخاصة بكل عضو على حدة ، ووصف اشكال العلاج المتاحة في الحالات العادية والمستعصية ،

---

33 -خصص ابن بختيشوع في كتابه ، رسالة في الطب والأحداث النفسانية ، تحقيق فليكس كلاين فرانكه ، بيروت ، 1977 ، فصلا بعنوان : " في مناقضة من زعم أنه لا يجب على الطبيب النظر في الأحداث النفسانية " .

34 - أفرد الزهراوي في كتابه الضخم السالف الذكر حيزا للحديث عن فصول السنة وأقسام الرياح والتأثيرات التي تمارسها مجموع هذه العناصر على الصحة الإنسانية ، أنظر : مخطوط المكتبة العامة تطوان السالف الذكر ، رقم 826 ، 68 . ومن المعلوم أن الاهتمام بالأنواء والأزمنة وذكر الفصول شكل مجالا لاهتمام خاص في التصنيف العربي الاسلامي الوسيط . وتعتبر يومية قرطبة للأسقف ربيع بن زيد خير مثال على ذلك بالنسبة للأندلس . ولا تخلو معظم كتب الفلاحة من إشارات إن لم يكن من أبواب وفصول في هذا الشأن ، مما يكشف عن اشتراك المصنفات الطبية والفلاحية والنباتية والجغرافية في الاهتمام بهذا الموضوع .

35 - فابن رضوان على سبيل المثال صنف كتابه السالف الذكر لابراز دفع مضار الابدان بارض مصر على وجه الخصوص ، مبينا قصور قرينه الطبيب ابن الجزار القيرواني لكونه لم يعاين بيئة مصر وما تولده من امراض ، وما لبيئتها الخاصة من تأثير ، انظر : المصدر السابق ، 1 و36 .

36 - ان استقراء متون عدد من المصنفات الطبية ، يفصح عن المكانة التي شغلتها القضايا المتعلقة بهذا الموضوع ضمن اهتمامات الاطباء العرب القدامى . فالغافقي قد خصص المقالة الثالثة من كتابه في طب العيون لـ" ذكر الاطعمة والاشربة " ، المصدر السابق ، 106-49 . كما افرد محمد بن ابراهيم الرندي مصنفا هاما يتضمن خمس مقالات للنظر في قوى الاغذية ، وما الجيد وما الرديء ، وما يوافق في فصل دون فصل ، وشخص دون شخص ، مؤكدا على ان الناس اكثر حاجة الى معرفة قوى الاغذية من معرفة الادوية ، ومذكرا بقول جالينوس ان هذا الفرع يكاد يكون انفع علوم الطب . ويوجد هذا المصنف مخطوطا في المكتبة الحسنية ، الرباط ، رقم 85 . ومن المعلوم ان محمد المهدوي بن علي بن ابراهيم الصنوبري قد ضمن كتابه الشهير الرحمة في الطب والحكمة بابا كاملا في معالجة طبائع الاغذية والادوية وذكر منافعها ، مخطوط المكتبة العامة ، تطوان ، رقم 592 و(ضمن مجموع) ، 100 . لمزيد من التفاصيل راجع : A. Dietrich, *Medicinalia ...*, op. cit., p. 207.

وكذا حصر إمكانات ووسائل الوقاية مما يند عن الحصر من الأمراض [37]، إضافة الى تتبع "العلل المعروفة من رأس الانسان الى قدميه" [38] بالدراسة والتفصيل .

من الطبيعي ان يسفر تنوع الاهتمام واتجاهه الى استكشاف مختلف المستويات وتفانيه للاحاطة بكافة المجالات ، عن بلورة الاختصاصات الطبية . فبغض النظر عن الجراحة التي عرفت تطورا مثيرا للانتباه على يد كبير اطباء عصره ابي القاسم خلف الزهراوي ، لا تعوز الدلائل عن تزايد الاهتمام بعلم القبالة وفن التوليد . وتتواتر المعلومات عمن صنف في "تدبير الاطفال" [39]، و"خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود" [40]، واستكشاف اسباب "تعفن معاليق الرحم" [41]، وما "يحدث في الرحم من تآكل" [42]، وغير ذلك مما يرتبط بامراض النساء والولادة وطب الاطفال [43]. ولم تكن جراحة العظام واشكال التطبيب والمداواة المرتبطة بها اقل

---

37 - انظر : ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الصنهاجي ، المنافع البينة ، المصدر السابق ، 36-37.

38 - نفسه ، 37.

39 - المقصود هنا عريب بن سعد القرطبي ، وهو من اهل القرن الرابع الهجري . عن مصنفه في هذا المجال راجع : J. Ch. Sournia, *Medecins arabes ...*, op. cit., p. 122

40 - وهو عنوان الكتاب الذي صنفه عريب بن سعد ، ولقد حظي النص الكامل بعناية النشر مع الترجمة الفرنسية من طرف : Ibid, pp. 82-152.

41 - عبد الملك بن زهر، المصدر السابق ، 310. وتقدم المصادر الطبية وغيرها من المصنفات الاندلسية بعض الاشارات عن الامراض الجنسية وغيرها من العلل ، يبدو من المفيد التجرد لحصرها في بحث مستقل .

42 - نفسه ، 307.

43 - والجدير بالملاحظة أن الفكر العربي الاسلامي عموما والقطاعات المهتمة بالجانب الطبي على وجه الخصوص قد أولى عناية لهذا الموضوع منذ عهد مبكر . يتجلى ذلك من خلال بعض مصادر ابن بختيشوع المتطبب ، إذ ذكر من ضمنها مصنفا للجاحظ بعنوان : "كتاب النساء" ، المصدر السابق ، 47 .

حظوة . يذكرعبد الملك بن زهر [44] بعض الحالات المستعصية على اطباء عصره بالقول : " ومن العظام ما قد يئس العلماء عن برئه وهو عظم الفخذ ، ورأيت هذا العضو قد برئ مرة واحدة في صبي صغير " .

وتتوفر المكتبة الاندلسية على مصنفات متخصصة في طب العيون [45]، وفي الكحالة والكحالين [46] ، تتضمن فضلا عما "يحتاج اليه في طب العين من علم وعمل " [47]، مختلف التفاصيل المتعلقة باحوال العين وامزجتها ووسائل حفظ صحتها ، مع جرد عدد من الامراض الجزئية والكلية التي تتعرض لها . ومن المعلوم ان مختلف اجزاء العين مثل الموق والقرنية والطبقة العنبية والنوازل المنحدرة وشرايين الصدغ قد خضعت للاختبار والدرس . ينطبق نفس الشيء على الاجفان والامراض الخفية عن الحس ، مما يدل على المستوى العلمي الرفيع الذي بلغه الطب بالاندلس، وعلى مدى دقته في الضبط والمتابعة ، بالملاحظة والتجربة والاستشفاء .

وبرغم استمرار الخلاف فيما بين الاطباء حول ادراج المستوى النفسي في التطبيب ، فسرعان ما تأكد -وان بشكل تدريجي- كتخصص مستقل ضمن الممارسة الطبية ، بالمشرق والمغرب على السواء. وهو الفرع الذي نعت حينا باسم "الطب الروحاني " [48]، وحينا باسم "الطب الحسي والمعنوي" [49]، واحيانا باسم "طب

---

44 - المصدر السابق ، 318.

45 - نذكر منها مصنفي عبد الله بن قاسم الحريري ومحمد بن قسوم بن اسلم الغافقي المعتمدين ضمن هذا العمل .

46 - وهو المصطلح المستعمل في المصادر القديمة لتمييز طب العيون كتخصص والاطباء الممارسين في هذا الميدان عن غيرهم من الاطباء .

47 - الغافقي ، المصدر السابق ، 46.

48 - ابن بختيشوع ، المصدر السابق ، 44.

49 - ابو عبد الله محمد الصنهاجي ، المنافع البينة ، المصدر السابق ، 37.

النفس ومداواة الاخلاق "[50]. ولعل في ميلاد طب التجميل والزينة [51] الكمالي، المشارف لمستويات أرقى، متجاوزا الطب العلاجي المرضي، ما يكشف عن عمق الثورة العلمية التي شملت دار الاسلام مشرقا ومغربا خلال القرن الرابع الهجري. وهي الثورة التي استمرت ذيولها في مد وجزر، تتألق وتخبو طوال القرون اللاحقة.

وتتضمن المكتبة الاندلسية عددا من المؤلفات في اصناف الادوية، المفردة والمركبة، نباتية ومعدنية وحيوانية [52]. كما تزخر بالتفاصيل حول تراكيب الاشربة المختلفة مثل : "شراب البرشكلة"[53]، و"شراب

---

50 -ابن بختيشوع، المصدر السابق، 64، ولقد ذكر من ضمن مؤلفاته كتابا بعنوان : "طب الاخلاق"، نفسه، 38. ومن المعروف ان القدامى لم يهملوا ما يتعلق بالجوانب النفسية لدى الانسان عموما. وبصرف النظر عن المستويات العميقة في الترويض النفسي التي دأب على مجاهدتها كثير من المتصوفة وتحدثوا عنها في مصنفاتهم حول مدارج السالكين، تتوفر المكتبة العربية الاسلامية على عدد من المؤلفات الموضوعة في النفس، نذكر منها رسالة ابن حزم الشهيرة "في مداواة النفوس"، ضمن رسائل ابن حزم السالفة الذكر، ج1، 335-414 وكذلك الرسائل الثلاث في النفس، تحقيق سعيد عبد الفتاح، القاهرة، 1990. ولعل في اشارة ابن بختيشوع الى اعتماده عند تناول موضوع العشق على مصنف ابن مندويه الاصبهاني الموسوم بـ"المغيث" ما يكشف عن اهتمام الاطباء منذ عهد مبكر بهذه المستويات النفسية.

51 - خصص عريب بن سعد ضمن كتابه السالف الذكر فصلا عن "علاجات من الزينة يتعالجن بها النساء في الجماع فيضيق القبل ويصلحه"، راجع : J. Ch. Sournia, *Medecins arabes ...*, op. cit., p.90. ويمكن من خلال بعض المصادر الاندلسية الوقوف على معلومات مفيدة بخصوص مواد التجميل الطبيعية والمركبة الشائعة الاستعمال في أوساط النساء.

52 - من المعروف ان اسحاق بن عمران البغدادي المولد الافريقي الموطن قد صنف كتابا في الادوية المفردة منذ القرن الثالث الهجري. لمزيد من التفاصيل راجع : ابراهيم مراد، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، بيروت، 1991، 54. على غراره الف تلميذه اسحاق بن سليمان الاسرائيلي كتابا "في الغذاء والدواء"، انظر: ابن جلجل، المصدر السابق، 87. وتزخر المكتبة العربية بمصنفات في هذا الحقل الطبي، نخص منها بالذكر مصنفات ابن الجزار القيرواني. انظر التفاصيل لدى : ابراهيم مراد، المرجع السابق، 185-98. ويعتبر كتاب الجامع في الادوية والاغذية لابن البيطار من اشهر المصنفات الاندلسية في هذا الموضوع.

53 - انظر : كتاب طب العجم، مخطوط المكتبة العامة تطوان، رقم 592 (ضمن مجموع)، 161.

الفنطوريون "[54]، وغيرهما . ولا تعوز التفاصيل عن انواع المعاجين واللعوق ، واصناف الأدهان والمسوح[55]، واقسام الجوذابات [56] ومختلف اشكال الترياق . ومن المفيد ان نذكر من الاصناف : "الترياق الكبير " [57] و "ترياق الفاروق " [58] ، الى ما يند عن الحصر من المسهلات [59]والمساحيق [60] والمرهمات ، مثل المرهم الذي " نسب الى المنصور بن ابي عامر " [61]. ناهيك عن ألوان من "الذراريج المنقعة " [62] ، والـ " ضماد " [63]ات المتنوعة ، المستعملة لتنقية الجروح وجبر الكسور . ونتوفر من خلال ما وصلنا من وصفات طبية ، اضافة لاسماء عدد من الادوية ، على المواد ونسب التراكيب المستخدمة في عدد من المستحضرات الطبية [64] .

---

54 -ابو العلاء بن زهر ، كتاب المجربات ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 844 (ضمن مجموع)، ورقة 32 ب . وهو النص الذي حققته الباحثة كريستينا آلباريث اعتمادا على عدة نسخ مخطوطة وصدرمؤخرا ضمن منشورات معهد التعاون مع العالم العربي بمدريد كما سلف الذكر .

55 - ذكر عريب بن سعد على سبيل المثال صفة مسوح تستعمل لتقوية الانعاظ ، المصدر السابق ، 88.

56 - ولقد ذكر عريب بن سعد ايضا صفة جوذابة تزيد الباه ، نفس المصدروالصفحة .

57 - ابو العلاء بن زهر ، المجربات ، المصدر السابق ، ورقة 63 أ .

58 - نفسه ، 24 أ .

59 - عبد الملك بن زهر ، كتاب التيسير ، المصدر السابق ، 415.

60 - ابو العلاء بن زهر ، المجربات ، المصدر السابق ، ورقة 38 أ .

61 - نفسه ، ورقة 45 ب .

62 - نفسه ، ورقة 45 أ .

63 - نفسه ، ورقة 34 ب .

64 - نفسه ، ورقة 35 أ . انظر كذلك : محمد بن ابراهيم الرندي ، كتاب الأغذية ، المصدر السابق ، رقم 77 (ضمن مجموع) ، ورقة 301.

اسفر ذلك عن ثروة مصطلحية ما فتئت تزداد اتساعا وتنوعا ، أثمرت جهازا مفاهيميا خاصا بعلم الطب [65]. وتفاديا لما قد يحدث من لبس وتقاطع في دلالات الالفاظ والمصطلحات ، كثيرا ما اضطر المصنفون في هذا الحقل الى ضبط معاني ما يستعملونه إما ضمن متون كتبهم [66] او في ملحقات مخصصة لضبط و "شرح ما وقع في الكتاب من الاسماء" [67]. وسرعان ما تم الانتباه الى اهمية وضع معاجم متخصصة في النبات [68] والأعشاب ، وفي الصيدلة والتشريح [69].

لم تكن تراجم الأطباء وأسماء المشتغلين بالحكمة ومعاناة التطبيب أقل عرضة للضياع والنسيان . حقيقة ان ابن جلجل[70] وابن أبي اصيبعة [71] قد احتفظا في كتابيهما المصنفين في طبقات الأطباء والحكماء على أسماء ثلة من المشاهير . ولا تقل اللائحة التي قدمها صاعد الأندلسي [72] ضمن كتابه في طبقات الأمم - على اقتضابها -أهمية. مع ذلك ، يبدو انهم جميعا قد قصروا عن الإستيعاب ، وهو ما عبر عنه

---

65 -من المفيد على ما يبدو إخضاع مجموع المصطلحات والمفاهيم الطبية المتاحة للبحث اللغوي والاجتماعي ، لما لها من اهمية في الكشف عن عدد من القضايا المتعلقة بالحياة اليومية للعامة وبأدق تفاصيل التفاعل بين مختلف العناصر والمكونات الاجتماعية . وفي تقديري ان البحث التاريخي المعاصر لم ينتبه - بما فيه الكفاية - الى قيمة هذه المادة العلمية في إلقاء اضواء ساطعة على زوايا مظلمة في التاريخ الحضاري لدار الاسلام .

66 - انظر على سبيل المثال : عبد الملك بن زهر ، كتاب التيسير ، المصدر السابق ، 58.

67 - ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله ، المصدر السابق ، 254-55 .

68 - راجع. A. Palacios, *Glosario...*, op. cit. passim.

69 - نذكر بهذا الخصوص الأرجوزتان الطبيتان السالفتي الذكر من وضع ابن المناصف ابى عبد الله محمد الأزدي لضبط كلما يتعلق بجسم الإنسان وبجزئيات أعضاء الجسد الباطنية .

70 - انظر : الطبقة التاسعة الأندلسية الحكمية والطبية ضمن المصدر السابق .

71 - راجع المصدر السابق ، 485-87 و 491 و518.

72 - المصدر السابق ، 185-99.

القفطي [73] في عبارة دالة إذ قال مقوما مجهود ابن جلجل في مصنفه السالف الذكر : انه "لم يشف غليلا وكيف وقد اورد من الكثير قليلا" . ولا غرو ، فابن جلجل ذاته لم يخف هذه الحقيقة إذ صرح قائلا : "واقتصرنا على ذكر المشهورين الظاهرين الخادمين ، وأضربنا عن ذكر من كان في زمانهم ممن لم يوازيهم ولا حل محلهم ، إذ لم يكونوا من اتساع الذكر بمحل هؤلاء" [74] .

يتجلى ذلك بوضوح من خلال الإستقراء الواسع لأسماء الأطباء الأندلسيين المبثوثة ضمن محتويات المصنفات العامة في التراجم والطبقات [75]، والمتناثرة في غيرها من المصادر [76]. بـلغت مهنـة الطب من الأهمية، والمشتغلين بها من الكثرة، أن أقامت الخلافة الأموية لحذاقهم ديوانا خاصا. ويبدو أن المغمورين ومتوسطي الحال ممن "اسقط حينئذ من ديوان الأطباء وبقي مخمولا" [77]، يفوقون بكثير من نال الحظوة السلطانية. إلا أن العامل الأكثر تأثيرا في الإبقاء على عدد منهم في دائرة الظل ، يكمن في المتابعات والمضايقات التي كثيرا ما اسرفت في تعقبهم وكتم أنفاسهم .

ان في مجموع هذه الملاحظات ، ما ينبه على عمق درجة الإتلاف الذي تعرض له التراث الطبي العربي الإسلامي بالأندلس ، وما يكشف عن قوة الإصرار طوال قرون على تهميش ومضايقة المشتغلين بالطب والحكمة . ان في ذلك ما يفصح ، ليس فقط عن جزئية وسطحية التصورات المعاصرة المتعلقة بالجوانب

---

73 - إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بيروت ، بدون تاريخ ، 130.

74 - ابن جلجل ، المصدر السابق ، 116.

75 - انظر على سبيل المثال : ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س4 ,25 ,26 و 43-44 س5، ق1 ,97 و 141 .42 و 250-52 و 239؛ س5 ، ق 2 ,474 ؛ س6 ,21 ,22 و 368 و 398-99 و 160و 184 ؛ س 8 ، ق 1 ,214.

76 - انظر : المقري ، المصدر السابق ، ج 2 ، 105-106؛ ج 3 ,353؛ ج 4 ,130

77 - ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، 492.

المغمورة من هذا العطاء العلمي ، بل وكذلك عن ضخامة المجهود المطلوب بذله ، إن على مستوى نشر وتحقيق النصوص المخطوطة ، أو على مستوى ضبط المادة الطبية وتراجم اعلام الأطباء المتناثرة في غير كتب الطب من المصادر العربية . بل وحتى المادة الطبية المتداولة تبدو في حاجة الى التفكيك والمعالجة بالدرس والتحليل، في أفق بلورة القضايا الكفيلة بتمكين البحث المعاصر من وضع أسس التأريخ للطب بالأندلس ، والتجرد لتقويم حجمه ومكانته ضمن العطاء الحضاري العام .

وفيما لدينا من معلومات عن البذور الأولى للحضارة العربية الإسلامية بالأندلس ، ما يؤكد قول بعض الدارسين[78] بان الفاتحين لم يجدوا إرثا طبيا بالبلاد . فالى حدود القرن الثالث الهجري ، استمر الناس "يعولون في الطب على قوم من النصارى "[79] ، أجمعت المصادر على اعتبارهم ممن " لم تكن لهم بصارة بصناعة الطب والفلسفة "[80] ، ولم يكن لهم بالإضافة الى ذلك " تحققا به ولا شيء من سائر العلوم "[81] . لا غرابة في ذلك ، ما دام جل اعتمادهم في الممارسة الطبية كان " على كتاب مترجم من كتب النصارى ، يقال له الإبريشم "[82] . مما يكشف ليس فقط عن فقر الموروث الحضاري عن العصر السابق للإسلام ، بل وكذلك عن انفصال الصناعة الطبية عن الحكمة والفلسفة . من ثم يبدو زعم بعض الدارسين[83] بوجود اتجاه طبي مستعربي ذي طابع عقلاني متميز غير ذي معنى . ولعل في استمرار الإعتقاد بدور المستعربين في الحفاظ على حيوية الحضارة الرومانية اللاتينية المسيحية

---

78 - L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe,* Paris 1896, T. I, p. 418; M. Meyerhof "Esquisse d'Histoire de la Pharmacologie et Botanique chez les musulmans d'Espagne" *Studies in Medieval Arabic Medecine,* London, 1948, p. 3.

79 - صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 186.

80 - ابن جلجل ، المصدر السابق ، 92.

81 - صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 186.

82 - نفس المصدر والصفحة . انظر كذلك : ابن جلجل ، المصدر السابق ، 92.

83 - انظر تقديم الطبعة المحققة لكتاب ابن حبيب ، مختصر في الطب ، المصدر السابق ، 92.

بالاندلس - كما شاع لفترة - في مواجهة حضارة عربية إسلامية دخيلة وعابرة [84] ما قلل من تحفظات بعض الدارسين[85] ، الذين لم يترددوا في بلورة تصور للإتجاهات الطبية بأندلس هذه الفترة لا يطابق الواقع التاريخي .

وطوال عصر الإمارة ، دأب أطباء الأندلس - فيما يبدو - على الفصل بين الطب والحكمة ، مع التمسك بذلك منهجا في التعامل مع كتب الأوائل والتصرف في المعارف المستقاة من التراث الموروث عن العصر القديم . يتضح ذلك من خلال عبارات دالة أوردها صاعد الأندلسي [86] بالقول : " انما غرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكنانيش المؤلفة في فروعه فقط دون الكتب المؤلفة في أصوله مثل كتب ابقراط وجالينوس " . لا غرابة في ذلك ، ما دام أقصى مبتغاهم أن " يستعملوا بذلك ثمرة الصناعة ويستفيدوا به خدمة الملوك بالطب في أقرب مدة " [87] .

والجدير بالذكر ان ايثار الجانب المنفعي في الطب بفصله عن أبعاده الفلسفية ، لم يكن مجرد اختيار منهجي. علما بان كل من حاول الانفتاح على العلوم، والتوسع في المعرفة ، مع تجاوز الشائع ، واجترار المعروف ، والأخذ بقواعد الإجتهاد، تطاول اقرانه من اهل القلم عليه نكاية ، و" وضعوا القبيح عند الأمير، حتى الزموه البدعة وشنؤوه عند العامة ، وتخطى كثير منهم برميه بالإلحاد والزندقة، وتشاهدوا عليه بغليظ الشهادة ، داعين الى سفك دمه " [88]. وهو نفس المصير الذي

---

84 -وهي التصورات التي طالما روجتها المدرسة الإسبانية التقليدية وثلة من المتعصبين للمسيحية والمنغلقين في إطار الأفكار القومية . ولقد بينا في عدة دراسات سابقة لا تاريخية هذا المنحى في التحليل ، من خلال الكشف عن مكانة المستعربين كعنصر فاعل ضمن الخريطة الإجتماعية الأندلسية ، في ظل انفتاح فكري وتفاعل حضاري وتسامح اجتماعي قل نظيره ، سواء خلال المراحل التاريخية السابقة أو اللاحقة للقرن الرابع الهجري .

85 - يتحدث مقدم كتاب ابن حبيب مختصر في الطب السالف الذكر مثلا عن ثلاث اتجاهات طبية لخصها كالتالي : الطب الديري ، الطب النبوي ، الطب الإسلامي . 11-29.

86 - المصدر السابق ، 185.

87 - نفسه ، 185-86.

88 -ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2, 110.

آل اليه أحد كبار الأطباء ممن على يديه "ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة "[89] . ومما يدل على إحكام الخط الأحمر الفاصل بين المستويين خلال هذا العصر، إقدام أحد أشهر المصنفين في علم الطب على وضع "كتاب طبقات العلماء وشرح من زن منهم بالأهواء "[90] ، مغالاة في الترصد والمتابعة وإحصاء الأنفاس . مع ذلك، لم يسلم هو ايضا من تحامل الفقهاء الذين لم يتورعوا عن اتهامه بكونه " طويل اللسان متصرفا في فنون العلوم "[91] التي لا يفقهونها .

وبالكشف عن وضعية وسير وممارسات أطباء هذا العصر، ما يؤكد صحة هذا المنحى ، ويفصح عن دأب العموم على اتخاذ الطب والتطبيب وسيلة للإغتناء السريع وسلما للإلتحاق بوجوه القوم وبياض الناس . فمنهم من "كسب بالطب مبلغا جليلا من الأموال والعقار "[92]، ومنهم من اتخذ بـ" قرطبة الأصول والمكاسب الخطيرة "[93] . بلغ التمكن والغنى بأحدهم أن" كان لا يركب الدواب إلا من انتاجه، ولا يستخدم إلا بتلادة من أبناء عبيده "[94]. وتكشف أثمان الخدمات الطبية والصيدلية عن السر في هذا الإثراء السريع والفاحش ، وعن الطابع الأرستقراطي للطب الذي ظل الى هذا العهد بعيدا عن منال عامة الناس . ولا غرو، فلقد بلغت قيمة بعض المستحضرات الصيدلية أن بيعت " السقية منها بخمسين دينارا لأوجاع

---

89 -إذ انتهى به الأمر الى أن صلب بإفريقية في إمارة زيادة الله الأغلبي . انظر : ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، 487 .

90 - ابن خير الإشبيلي ، كتاب الفهرست ، تحقيق فرانسيسكو كوديرا / خوليان ريبيرا ، القاهرة، 1963, 202 . وبالمثل، فقد ذكر ابن الفرضي من ضمن مصنفات عبد الملك بن حبيب المقصود هنا ، كتاب " سيرة الإمام في الملحدين" ، انظر : تاريخ علماء الأندلس ،القاهرة ،270.

91 - نفسه، 272.

92 - ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، 486 ؛ ابن جلجل ، المصدر السابق ،96.

93 - صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 186؛ ابن جلجل ، المصدر السابق ، 93 ؛ ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ،485.

94 - ابن جلجل ، المصدر السابق ،93.

الجوف " [95] . وبالمثل، فلما استكمل أحد الأطباء تركيب " مرهم ينفع القروح من يومه " [96] أخذ في مقابله " خمسين دينارا " [97]. ما كان للتطبيب في ظل هذه الشروط إلا أن يبقى محصورا على المستوى الإجتماعي ، ومنغلقا في إطار حاجيات فئة محدودة من وجوه الناس وعلية القوم .

والجدير بالملاحظة ان المناهل الفكرية لاطباء هذا العصر ، لم تقتصر على الجزء الاجرائي التجريبي من التراث الطبي اليوناني القديم ، بل وشملت ايضا -استكمالا للمعارف المكتسبة واثراء للقدرات الاستشفائية - مجموع ما تراكم لدى العرب من تجارب وعطاءات في الجاهلية والاسلام. مصداق ذلك ان اقدم مصنف اندلسي في الطب تمكن من اختراق الزمن للوصول الينا سالما، يتناول " طب العرب " [98] . ويتضح من خلال مضامينه ومنهجه [99] ، انه ينـدرج ضمن الصنف الموسوم بالطب النبـوي [100] الذي حظي باهتمام ثلة من الدارسين ، منهم من عمد الى تقديم لوائح مفيدة بهذا الخصوص .

---

95 - نفسه ، 94 ؛ ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، 486.

96 - ابن أبي اصيبعة ، نفس المصدر والصفحة .

97 - نفس المصدر والصفحة .

98 - من تاليف عبد الملك بن حبيب المتوفى سنة 238 هجرية الموافقة لسنة 853 ميلادية . ولقد اعتبره محقق "كتاب مختصر في الطب" السالف الذكر ، اول مصنف اندلسي من هذا النمط ولربما الوحيد ، المصدر السابق ، 33. مع ذلك ، فعموما هناك من هو اسبق الى الاهتمام بطب العرب ، راجع : محمد العربي الخطابي ، المرجع السابق ، ج1 ,11 .

99 - خاصة القسم الاول الذي يستند على المنهج الاصولي في التوثيق باستخدام السند في ايراد متون الاحاديث المروية بهذا الخصوص عن النبي (ص) ، واثبات الروايات عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، مما يفصح عن قيمة الطب النبوي باعتباره مصدرا كاشفا عما تراكم في الذاكرة العربية منذ الجاهلية وفي الاسلام حول امور الطب والاستشفاء .

100 - يعتبر علي الرضى اول من صنف في هذا الباب ، وذلك في خلافة المامون العباسي ، الا ان كتابه ما زال في حكم المفقود ، مما يضفي على مصنف عبد الملك بن حبيب الاول من نوعه في الطب النبوي بالاندلس اهمية خاصة . ولقد استؤنف التأليف في هذا الباب بعدئذ على يد ابي النعمان الاصبهاني خلال القرن الرابع الهجري وابن الجوزي لاحقا وغيرهما ، مثل ضياء الدين المقدسي والحافظ الذهبي وابن قيم الجوزية . مما اثمر رفا هاما ضمن المكتبة الطبية المتعلقة بهذا الحقل .

ولعل في اخضاع هذا المصنف وغيره مما كتب حول الطب النبوي طوال القرون اللاحقة لمحك النقد والتحليل ، ما يفصح - على عكس ما هو شائع - عن اهمية البعد التطبيقي الاستشفائي ، المستند عما تراكم من معارف ميدانية تجريبية[101] ، في حدود ما تسمح به ظروف حضارة في طور النشاة والتكوين. وليس في الاضطرار عند العجز على المستويين المعرفي والاجرائي - الاستشفائي، الى الاستعانة بوسائل بديلة [102]، ما يبرر نعت مجموع هذه المعارف والتجارب والممارسات بالطب الايماني الميتافيزيقي [103]. ويبدو ان الانزلاق خلال عصور الانحطاط اللاحقة نحو ممارسة الشعوذة ،وتشبع شرائح اجتماعية هامة بالغيبيات في تعاملها مع الطب النبوي، مايفسر انعدام التحفظ لدى ثلة من الدارسين عند تقويمهم لهذا الصنف من المعرفة الطبية.

مع ذلك ، ففي النصوص السالفة من المؤشرات ما ينم عن الاقدام منذ القرنين الثاني والثالث للهجرة على بذر البذور الاولى لاعادة ربط الطب بالحكمة والفلسفة وعلوم الطبيعة، ليس بالاندلس فحسب، بل بمجموع دار الاسلام بالمشرق والمغرب على السواء . فمن الثابت كما سلف الذكر ، ان عبد الملك بن حبيب كان " متصرفا في فنون العلوم " [104]، وإن بحذر شديد على ما يبدو، مما يفسر تأرجح فقهاء عصره بين التحامل والثناء عليه [105] . وبالمثل، فقد سلفت الاشارة الى دور الطبيب اسحاق بن عمران البغدادي الاصل في ظهور" الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة " [106] على يديه باصقاعه منذ القرن الثالث الهجري. على غراره ، كان اسحاق بن سليمان " مع

---

101 - انظر : عبد الملك بن حبيب ، المصدر السابق ، 33.

102 - مثل التبرك بقراءة الآيات القرآنية اوترديد بعض التعاويذ وغير ذلك .

103 - انظر مقدمة كتاب عبد الملك بن حبيب ، مختصر في الطب ، المصدر السابق ، 19.

104 - ابن الفرضي ، المصدر السابق ، 272.

105 - لمزيد من التفصيل حول هذه المسالة راجع : محمد العربي الخطابي ، المرجع السابق، ق1 ,86.

106 - ابن جلجل، المصدر السابق ، 85.

فضله في صناعة الطب بصيرا بالمنطق متصرفا في ضروب المعارف " [107]. وهو ما انتبه اليه صاعد الاندلسي [108] فاستثنى فئة محدودة من الاطباء عن غيرهم اذ قال : " الا افرادا منهم رغبوا عن هذا الغرض، وطلبوا الصناعة لذاتها، وقرأوا كتبها على مراتبها" . ولقد كان عباس بن فرناس التاكرني الشهير ممن اعتنى بهذا الحقل ، إذ "كان فيلسوفا حاذقا " [109]، لذلك "كثر عليه الطعن في دينه " [110].

الا ان التجليات الاكثر وضوحا في اتجاه إعادة ربط الفكر والممارسة الطبية بالحكمة والفلسفة وعلوم الطبيعة ، قد برزت بجلاء خلال القرن الرابع الهجري . فباعلان الخلافة الاموية بقرطبة من طرف عبد الرحمن الناصر ، الغيت معظم القيود التي طالما كبلت الفكر والنشاط الثقافي بالاندلس . وهو ما كشف عنه القاضي النعمان [111] بوضوح تام في قوله : ان الناصرقد " ترك اهل المذاهب وما اختاروه بانفسهم ولم يعرض لاحد منهم ، فنزع اكثر الناس اليه وسكنوا بلده لذلك " . اسفر هذا الانفتاح القائم على جو من التفاهم والتسامح المثير للانتباه عن تدفق "الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم ، وقامت الهمم وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الاطباء المشهورين " [112]. ولم يذخر عبد الرحمن الناصر وسعا في انتداب ثلة من أهل القلم ليستجلبوا "من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات العربية في العلوم القديمة والحديثة " [113].

---

107 - ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق ، 479.

108 - المصدر السابق ، 186.

109 - ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ، ج1 ، 333.

110 - نفس المصدر والصفحة .

111 - المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي/ ابراهيم شبوخ/ محمد اليعلاوي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1978 ,190 . ومما يضفي على شهادته اهمية خاصة كونه قد شغل منصب قضاء القضاة في الدولة الفاطمية الشيعية الاسماعيلية المعادية على طول الخط للخلافة الاموية بالاندلس . فضلا عن كونه معاصرا للخليفة عبد الرحمن الناصر ومعاينا لفصول الصراع والتنافس بين الخلافتين للهيمنة على بلاد المغرب .

112 - ابن جلجل ، المصدر السابق ، 98.

113 - صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 162.

ما كان لخلفه الحكم المستنصر الا ان يعمل على ترسيخ هذا المنحى[114] وهو المعروف بشغفه الشديد "بالعلم واظهاره لاهله"[115]، حتى اشتهر بذلك لدى الخاص والعام ، وذاع في الآفاق صيت ما كان في خزائنه "من كتب الدهرية والفلاسفة"[116]، وغيرها من "الكتب في انواعها ، ما لم يجمعه احد من الملوك"[117]. والجدير بالملاحظة ، ان اهتمام الحكم المستنصر لم يقتصر على "اقامة خزانة بالقصر للطب"[118] خاصة ، كما سلف الذكر ، بل ودرج على تجهيزها بمختلف ما تحتاج اليه الصناعة الطبية من مختبرات ، ورتب لها خدما "صقالبة طباخين للاشربة صانعين للمعجونات"[119].

ومما يكشف عن عمق ارتباط الطب بالحكمة ، انه قلما نصادف بين تراجم اطباء هذا العصر من لم يعتن "بطلب الفلسفة"[120]. فاحمد بن حكم بن حفصون على سبيل المثال "كان طبيبا نبيلا . . . بصيرا بالمنطق مشرفا على كثير من علوم الفلسفة"[121]. وبالمثل ، اشتهر محمد بن عبدون الجبلي الطبيب بكونه "ذا حظ وافر من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة"[122]. ولم يكن ابن وافد اقل اهتماما بكتب "ارسطوطاليس وغيره من الفلاسفة"[123]. وهو ما ينطبق على جماعة

---

114 - لمزيد من التفصيل راجع : العامة والاتجاهات الفكرية بالاندلس في عصر الخلافة ، ضمن، احمد الطاهري، دراسات ومباحث في تاريخ الاندلس، عصري الخلافة والطوائف، البيضاء، 1993, 109-24.

115 - صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 189.

116 - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2، 292-93.

117 - الحميدي ، جذوه المقتبس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ، 1952, 13.

118 - ابن جلجل ، المصدر السابق ، 113.

119 - نفس المصدر والصفحة .

120 - صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 198.

121 - نفسه ، 189؛ ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، 492.

122 - صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 193.

123 - نفسه ، 195.

ممن تواتر ذكرهم في عدد من المصادرالاندلسية . واذا كان البعض قد "عني بصناعة الطب ومطالعة كتب الفلسفة من غير تحقق بها" (124)، فمنهم من بلغ به الامر ان تصدر التصنيف في هذا الباب ، حتى اشتهر بما وضعه من "كتب جليلة في انواع الفلسفة وضروب الحكمة" (125). ولا تعوز القرائن عمن تمكن من "البلوغ الى المراتب الرفيعة في الفلسفة" (126)، حتى غدا الاهتمام بهذا الحقل من معالم العصر.

لم تعد الاندلس في ظل هذه الظروف الجديدة قاصرة على تداول المعارف القديمة ، والاخذ عن الحكماء الاوائل ، بل اصبحت تساهم بفعالية في العطاء(127). ذكر الضبي (128) على سبيل المثال ، ان الطبيب القرطبي محمد بن الحسن المذحجي ، كانت له تصانيف في "المنطق وكلام في الحكم ورسائل في كل ذلك وكتب معروفة" لدى من اطلع عليها بكونها "فائقة الجودة عظيمة المنفعة" (129)، وغدت لذلك "مشهورة متداولة" (130) بعموم البلاد الاندلسية . وبصرف النظر عما كان لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار من "الرسائل المجموعة والعيون المؤلفة" (131)،

---

124 - نفسه ، 197.

125 - نفسه ، 195 ؛ ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، 495.

126 - صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 198-99.

127 - يبدو ان الانتاج الفلسفي بالاندلس خصوصا الى حدود القرن الخامس قد تعرض لاكثر من عملية طمس وتوبعت ذيوله بالحجر والابادة طوال القرون اللاحقة. مما يدعو الباحثين في هذا الباب الى تقويم الحجم الحقيقي للبتر الذي مس هذا الجانب الحيوي من الفكر الاسلامي وتوجيه الجهود نحو انتشال ما يمكن انتشاله من مادة فلسفية او قرائن مساعدة على مقاربة الوضع الفلسفي بالاندلس خلال القرن الرابع الهجري. وفي تقديري ان خطوة من هذا القبيل كفيلة – ليس فقط – بتوجيه الانتباه الى زوايا وقضايا ظلت لحد الآن مغلقة ، بل وكذلك بفتح آفاق جديدة للبحث في الفلسفة الاسلامية .

128- المصدر السابق ، 67.

129- ابن حزم، الرسائل، ج2 ، 185 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6 ، 160.

130 - ابن حزم ، نفسه ، ج2، 185.

131- نفس المصدر والصفحة .

تتواتر المعلومات عمن وضع "كتبا جليلة في انواع الفلسفة وضروب الحكمة" [132]. وسرعان ما ذاع صيت عدد من الشيوخ الذين جلسوا بمجامع الاندلس لتلقين المنطق والحكمة والفلسفة [133]، والتحقق في "العلم الطبيعي" [134] و"العلوم الرياضية" [135] وعلوم الحساب [136] والعدد والهندسة [137] والمساحة [138]. ناهيك عن التنجيم [139] والكيمياء [140] وعلم النبات [141] و"صناعة الموسيقى" [142]. من الطبيعي في ظل هذا الوضع ان يتردد ذكر اهل الاندلس في الآفاق بـ "حب الحكمة والفلسفة" [143]. ولعل في هذا ما يدل على تجرد علماء واطباء هذا العصر لوضع المعارف والممارسة الطبية ضمن تصور شامل لنواميس الحياة وظواهر الطبيعة وتجليات الوجود، في اطار استمرارية وتكامل المجهودات المبذولة على المستويين العلمي والتجريبي .

132- صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 195؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 3، 175.

133- يقدم صاعد الاندلسي لائحة باسماء بعض مشايخ الفلسفة بالاندلس ، المصدر السابق، 193. راجع كذلك اللائحة التي ضمنها المقري كتابه نفح الطيب، المصدر السابق، ج3 ، 376. ناهيك عن بقية اسماء اعلام الفلاسفة المتناثرة في عدد من المصنفات المغربية - الاندلسية نذكر منها على سبيل المثال : ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س5 ، ق2 ، 574. ولعل في قول كبير فقهاء عصره ابن حزم اننا قد تلقينا علم الفلسفة على يد "استاذنا ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي" ، المصدر السابق ، ج2، 185 ما يؤكد هذه الحقيقة .

134- صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 198.

135- المقري ، المصدر السابق ، ج3, 376.

136- صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 192.

137- نفسه ، 190.

138- الضبي ، المصدر السابق ، 209.

139- صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 192.

140- نفسه ، 197.

141- ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س5، ق1، 239.

142- صاعد الاندلسي ،المصدر السابق ، 205.

143- المقري ، المصدر السابق ، ج3 ,150.

حقيقة ان اطباء القرنين الرابع والخامس للهجرة ، لا سيما خلال العقود الاولى من القرن الرابع ، قد انكبوا - اثراء لمجهودات اسلافهم الموروثة عن العصر السابق - على قراءة كتب الاوائل، خاصة مصنفات ابقراط[144]، وكتب جالينوس ودياسقوريديس [145] المشهورين بكونهم من "افاضل الاطباء" [146]. وتتواتر في المصنفات الطبية الاندلسية اسماء فيض من الاعلام المعتمدين مثل "ارسجانيس" [147]، و "ذغبروطوس الحكيم" [148]، و "فليطوق الفيلسوف" [149]، و "فيتاغورس" [150] ، و "فاطيوس الحكيم" [151]، وبرقلس [152] ، وارسطوطاليس وافلاطون [153]، وغيرهم من "عامة العلماء من الاوائل والاطباء" [154]. ولا تعوز القرائن الدالة على اتساع مناهل المعرفة لدى الاندلسيين لتشمل آثار "اطباء الروم والعجم والهند وغيرهم" [155] . وفي نص فريد للضبي [156] ، ما يكشف عن جذور العلاقات الطبية بين الاندلس والهند، إذ استعصت حالة احدهم و "لم

144- انظر : J. Ch. Sournia, *Medecins...*, op. cit., p. 100 et 126.

145- صاعد الاندلسي ، المصد رالسابق ، 196.

146- ابـن الجزار القيرواني ، كتاب في علاج الفقراء والمساكين ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 875 ، ورقة 62 ب .

147- انظر : J. Ch. Sournia, *Medecins...*, op. cit., p. 98.

148 -مجهول ، شذرات نقلت من كتب الحكماء ، مخطوط المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم 178 ، ورقة 188 أ.

149- كتاب طب العجم ، مخطوط المكتبة العامة تطوان ، رقم 592 (ضمن مجموع)، 111 و112.

150- صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 75.

151- مجهول ، شذرات نقلت . . . ، المصدر السابق ، ورقة 183 ب .

152- ابو الفرج الفيلسوف ، كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية، مخطوط الاسكوريال، رقم 888 (ضمن مجموع) ، ورقة 91 أ .

153- نفسه ، ورقة130.

154- انظر : J. Ch. Sournia, *Medecins...*, op. cit., p. 138.

155- كتاب طب العجم ، المصدر السابق ، 101.

156- المصدر السابق ، 127-28.

يجد لها بالاندلس مداويا . . . فقيل له لا دواء لها إلا بالهند ، فأراها بعض اهل الطب هنالك " .

مع ذلك ، استمر اعتماد الاندلسيين على طب العرب باعتباره مصدرا علميا طوال القرنين الرابع والخامس للهجرة [157] . ومن المعلوم ان ثمة همم قد تحركت منذ خلافة عبد الرحمن الناصر للرحلة صوب البلاد المشرقية طلبا للطب . نذكر " منهم عمر واحمد ابنا يونس بن احمد الحراني ، رحلا الى المشرق في دولة الناصر ، واقاما هنالك عشرة اعوام ، ودخلا بغداد ، وقرآ فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابئ كتب جالينوس عرضا ، وخدما ابن وصيف في عمل علل العين ، وانصرفا الى الاندلس في دولة المستنصر بالله ، وذلك في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة فالحقهما بخدمته في الطب " [158] . وبالمثل ، ففي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة رحل محمد بن عبدون الجبلي من قرطبة ، "ودخل البصرة والكوفة ، ونظر في الطب فبرع فيه ، وقدم مصر فضم الى تدبير البيمارستان هنالك بعناية محمد الخازن . . . وعاد الى الاندلس سنة ستين وثلاثمائة في أيام الحكم المستنصر ، فألحقه في الخدمة بالطب " [159] .

ولقد سلف الحديث عن دأب الأطباء الاندلسيين -تعزيزا لمعارفهم - على تبادل الخبرات والمراسلات الطبية فيما بينهم وبين أطباء مصر والعدوة المغربية وديار المشرق . ويتواتر ذكر اسماء اعلام مثل " الطبري " [160] ، و " علي بن عيسى " [161] ،

157- راجع : عبد الملك بن حبيب ، المصدر السابق ، 94 و100 و102 و104 و106 و122 . عن اعتماد كبار اطباء الاندلس الاحاديث الطبية المروية عن الرسول (ص) انظر : عبد الملك بن زهر ، كتاب التيسير . . . ، المصدر السابق ، 334.

158- صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 190-91

159- ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س6, 427.

160- مجهول ، شذرات طبية . . . ، المصدر السابق ، ورقة 186 . والمقصود هنا علي بن ربان الطبري ، ولقد اجرى احدهم دراسة عن علم الأجنة عند هذا الطبيب ، انظر :

F. Segura Perez..., op. cit., p. 136. مما يقدم عناصر إضافية دالة عن عمق الروابط الثقافية والحضارية بين جناحي دار الاسلام في ظل وحدة الظاهرة .

161- الغافقي ، المصدر السابق ، 45.

و "حنين ابن اسحاق " [162] و " عمار بن علي الموصلي " [163]، و " يحيى بن ماسويه " [164]، فضلا عن " ابن سينا " [165] وغيره من المشاهير المعتمدين في التصنيف الطبي بالاندلس. مما يكشف ليس فقط على عمق الروابط بين المغرب والمشرق ، بل وايضا عن وحدة الظاهرة على مستوى دار الاسلام بخصوص قضايا الطب [166]، إن نشأة وتطورا خلال مرحلة التألق ، أو أفولا وتراجعا بعدئذ طوال قرون الانحطاط .

افضت عودة الروابط فيما بين الطب والحكمة خلال عصر الخلافة الى تحقيق نهضة شاملة في هذا المجال. فعلى المستوى الاجتماعي، لم يعد التطبيب والاستشفاء حكرا على الملوك والامراء وأرباب البيوتات والمتنفذين من الوجوه وخاصة الناس . ذكر ابن جلجل [167] ان احد الاطباء ممن عاصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، " كان على باب داره ثلاثون كرسيا لقعود الناس " من العامة وسواد الخلق . ولم يكن تقلب احدهم في خطط الحكم وتوليه رتبة الوزارة ليثنيه عن استقبال مرضاه من حثالة العامة ، "إذ اقبل رجل بدوي على حمار وهو يصيح فاقبل حتى وقف بباب الدار فجعل يضرع ويقول ادركوني وتكلموا الى الوزير بخبري اذ خرج الى صراخ الرجل. . . فقال له : ايها الوزير ورم في إحليلي اسرني ومنعني من البول منذ ايام كثيرة وانا في الموت . فقال له : اكشف عنه ، فكشف الرجل عن احليله فاذا هو وارم. . . فلما تمكن احليل الرجل على الحجر، جمع الوزير يده وضرب على

162- نفس المصدر والصفحة .

163- نفسه ، 46.

164- نفسه ، J. Ch. Sournia, *Medecins...*, op. cit., p. 132. 286

165- الغافقي ، نفسه ، 46.

166- لقد تجرد ثلة من الدارسين منذ مدة لابراز وحدة الظواهر في دار الاسلام على مختلف المستويات ، سواء تعلق الامر بالتطور التاريخي العام او بتطور البنيات العميقة المتحكمة في الاقتصاد والمجتمع والنظم والثقافة . راجع على سبيل المثال اعمال محمود اسماعيل عبد الرزاق المنجزة حول مواضيع مختلفة في التاريخ والفكر والحضارة .

167- المصدر السابق ، 97.

الاحليل ضربة غشي على الرجل منها ثم اندفع الصديد يجري . . . ثم بال البول في اثرذلك وفتح الرجل عينيه فقال له : اذهب برأت من علتك " (168) . لعل في هذه القصة ما يكشف عن المستوى الانساني الرفيع في تعامل اطباء العصر مع العامة وايثارهم لأخلاقيات المهنة . وهو ما يتضح بجلاء من خلال موقف الطبيب المكلف بالسهر على المختبرات الصيدلية التابعة لقصر الخلافة في عهد الحكم المستنصر إذ " استأذن امير المؤمنين . . . أن يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى ، فأباح له ذلك " (169) .

وليس أدل على تزايد الوعي باهمية جعل الطب في متناول الجميع خاصة وعامة ، من تجرد بعض أطباء القرن الرابع الهجري للبحث في "علاج الفقراء والمساكين بالادوية " (170) في تركيبات اقتصادية ناجعة وملائمة لقدراتهم الشرائية . وبالنظر الى تزايد عدد الاطباء وتعزيز مكانتهم كصنف ضمن اهل القلم ، وشيوع التصنيف الطبي وذيوع المعارف المرتبطة بهذا العلم بواسطة التدريس والإقراء ، يبدو أن الطب قد تمكن خلال هذا العصر من تكسير قاعدة أسرار المهنة التي طالما كبله خلال العصر السابق . من ثم حرية الانتساب للمهنة بواسطة التعلم المفتوح خارج الاطار العائلي المغلق والمتوارث في البيوتات .

وعلى المستوى العلمي ، جميع المؤشرات تؤكد ان الطب في الاندلس لم يعد - ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري - محصورا في الحدود المعهودة لدى الأمم والحضارات القديمة . ويبدو أن ثمة مجهودا جبارا قد انجز على مستوى عموم دار الاسلام نظريا وتجريبيا طوال هذا القرن وخلال فترات من القرنين اللاحقين ، وذلك بالتحقيق في عدد من النظريات والقوانين والمذاهب الطبية السائدة ، وضبط تراكيب عدد من الأدوية والتدقيق في النتائج المحصلة وفي الوسائل وأدوات التطبيب

168- نفسه ، 100.

169- ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، 487.

170- وهو عنوان احد مصنفات الطبيب الشهير ابن الجزارالقيرواني المعتمد ضمن مصادر هذا العمل .

والعلاج المستخدمة . أسفر ذلك عن تأكيد القيمة العلمية والإجرائية لجزء هام من الموروث الحضاري. من ثم تجرد المحققين للدعوة الى "الإقتداء بوصايا الفاضل أبقراط "[171]، والتنويه "بقراءة الكتب المرسومة المشهورة التي ألفها بتوفيق الله رئيس علم الطب بلا مدافعة جالينوس "[172]، مع إثبات صحة ما تحقق هؤلاء وغيرهم من نجاعته، بل وأحيانا بتقديم حجج إضافية بما "يشهد على صحة هذا القول "[173] او ذاك .

على أساس ما يشبه نوعا من المسح الشامل للموروث القديم ، انبرى الاهتمام لتصحيح كل ما اتضح بأنه غير سليم في تصورات وممارسات قدماء الأطباء ، مع التنبيه على مواقع الزلل ومكامن الخلل ومواقع "الغلط "[174]. ولم يكن أعلام الأطباء وكبار الائمة ليسلموا من هذا الاختبار، بمن فيهم أبقراط[175] وجالينوس[176] وأرسطو طاليس[177] الى غيرهم من "الفضلاء المتأخرين من العجم "[178] . و "خلافا لجمع كثير من الحكماء "[179] المرموقين ، لم يذخر اطباء المسلمين وسعا في تقديم آراء وتصورات بديلة في إطار قواعد من الصرامة العلمية وضوابط موضوعية ومنهجية مثيرة للانتباه. ومن الأمثلة الكاشفة عن ذلك قول أحدهم بخصوص إحدى المسائل الطبية الواردة في إطار عمليات إخضاع الموروث القديم للنقد والتمحيص : "وقد رأى ذلك أئمة علم الطب وكبراؤهم ونعم ما رأوا، غير أنهم نظروا الأمور من جهة واحدة "[180] .

171- الغافقي ، المصدر السابق ،46.

172- عبد الملك بن زهر ، التيسير . . . ، المصدر السابق ، 471.

173- ابو زكريا يحيى بن محمد اللمودي ، تحقيق المباحث الطبية في تدقيق المسائل الخلافية، مخطوط الاسكوريال ، رقم 892 ، ورقة 54 ب .

174- الغافقي ، المصدر السابق ،46.

175- انظر : اللمودي ، المصدر السابق ، ورقة 41 أ .

176- نفسه ، ورقة 47 ب و57 أ .

177- نفسه ، ورقة 46 أ و49.

178- نفسه ، ورقة 46 .

179- نفسه ، ورقة 44 ب .

180- عبد الملك بن زهر ، التيسير . . . ، المصدر السابق ، 324.

وفي هذا السياق ، لم تهمل القضايا التي كانت محل جدال ، لا سيما فيما يتعلق بجواهر وقوى الأغذية التي وقع فيها "اختلاف كثير بين الأطباء والفلاسفة" (181). تطلب ذلك إخضاع هذه الجوانب لمزيد من الفحص باعتماد التجريب والاختبار، وفي حالة تعذر الحسم كثيرا ما يلجأ الى الترجيح ، كالقول مثلا : " ان فرقة أصحاب القياس أقوى حجة في الأدوية المركبة من فرقة اهل التجارب " (182). أفضى هذا المجهود الى توفير إمكانات الانتقال الى مستويات أرقى والشروع في إحصاء وضبط المسائل التى لم ينتبه اليها الفكر الانساني القديم . ذكر أبو العلاء بن زهر على سبيل المثال (183) ان "المسط لم تعرفه الأوائل" ، كما تناول غيره "مسألة من الطبيعيات لا تجدها في كتب القدماء وقد ذكر أعلتها فينبغي أن تضاف الى أمثالها" (184)حسب تأكيداته . وبالمثل لم تكن "مسألة أخرى طبيعية من قبيل ما سبق(و) لم نرها للمعلم الأول ولا لغيره" (185) على حد تعبيره .

اسفرت هذه الخطوات العلمية والمنهجية عن انفتاح أبواب الاجتهاد والابتكار في مختلف مجالات الطب والصيدلة . يتجلى ذلك من خلال ما تضمنته متون عدد من المصنفات التي وصلتنا من آراء أصيلة متعلقة بما يند عن الحصر من القضايا والمسائل. نذكر منها مبتكرات ابي العلاء بن زهر التي "استنبطها وأجاد فيها" (186)، والتي كانت من الجدة والفعالية أن "عجب أطباء وقته من ذلك حينئذ ووقعت في ذلك رسائل كثيرة" (187).

181- نفسه ، 89.

182- الحريري ، المصدر السابق ، ق2, 161.

183- المصدر السابق ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 844، ورقة 32 ب .

184- ابو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي ، مقالة في الحواس ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 889 ، ورقة 7 ب .

185- نفسه ، ورقة 10 أ .

186- انظر : عبد الملك بن زهر ، التيسير . . . ، المصدر السابق ، 169.

187- نفسه ، 415.

والجدير بالملاحظة أن التزام التجريب منهجا في إثبات الحقائق ودحض التصورات الشائعة قد غدا بمثابة القاعدة المعتمدة. فحتى لا يوسم الغافقي[188] - على سبيل المثال - بالتقليد عند اضطراره إلى الأخذ ببعض اجتهادات أبي القاسم خلف الزهراوي، لم يجد مناصا من تعليل موقفه بالقول: "وأنا أقول بقوله لأن التجربة قد كشفت لي ذلك مرات". وفي عبارات دالة لأبي مروان عبد الملك بن زهر[189]، مايفصح بجلاء تام عن هذه الحقيقة، إذ قال: "وكذلك كل ماذكرته في كتابي هذا وأثبته، لاشك أنه سيروم من يتعسف تزييفه بالكلام، وأنا أحاكمهم كنت حيا أو ميتا إلى التجربة". من الطبيعي في هذا السياق أن يعمد بعض الأطباء إلى التأليف في النتائج المخبرية المستخلصة من مداومة العمل والتجربة ضمن ماعرف باسم "المجربات" [190] في الطب.

مع ذلك، فمن المعروف أن ثمة قضايا وجوانب طبية استمرت بحكم طبيعتها ممتنعة عن الخضوع للتجربة. وفي هذه الحالات، غالبا ما يتم التماس مناهج بديلة، دون إخفاء حدود فعاليتها، إن لم يكن قصورها عن بلوغ غاية المنى. فبخصوص بعض المسائل، لم يجد عبد الملك بن زهر [191] غضاضة في الاعتراف بحدود نتائجه وبالصعوبات والعراقيل التي ظلت قائمة، إذ قال: "وما ظهر لي هذا إنما هو على القياس الذي عللوا ذلك به، وأما الأمر في نفسه فإني لم أباطش التشريح وأتحققه في تشريح الحيوان الميت فضلا عن الحي مع أن ذلك عسرا جدا". ويبدو أن الاجتهاد قد استنفذ حدوده القصوى، وبلغ الغاية التي تتحيها إمكانات العصر التقنية، كما يستفاد من تصريح أحدهم [192] فيما يتعلق ببعض الأمراض الجنسية الخاصة بالنساء قائلا: "إنني ما زلت أجتهد له حتى عجزت فأعلمت الشيخ أبي رحمه الله..

188- المصدر السابق، 326.

189- التيسير...، المصدر السابق، 326.

190- وهو العنوان الذي وضعه ابو العلاء بن زهر الاشبيلي لأحد مصنفاته كما سلف الذكر.

191- التيسير...، المصدر السابق، 123-24.

192- نفسه، 380.

فأيأس من البرء" . مع ذلك لم يكن عدميا في التعامل مع المرضى إذ "رسم علاجا (مخففا) وأخبر أن العلة قاتلة بطبعها"[193] لا محالة.

لم تكن الأدوات والتقنيات والوسائل المستعملة في التطبيب لتتخلف عن الركب. وهو ما يتضح بجلاء من خلال الرسوم والتفاصيل الدقيقة التي تقدمها جملة من التصانيف عن "ضروب من الآلات"[194] مثل تلك التي ضمنها - على سبيل المثال - أبو القاسم الزهراوي مصنفه الضخم المعروف بالتصريف، والتي لا مجال لحصرها في هذا المقال. ولعل في تقديمه النصح "للصانع الحاذق بقيس الكثير، وبما حضر على ما غاب ويستنبط عملا جديدا وآلة جديدة عند النوازل الغريبة إذا نزلت من هذه الصناعة[195] ما يفصح عن روح الابتكار والاختراع التي غمرت تطلعات أطباء هذه الفترة، وما يدل على أن الصناعة الطبية الدقيقة قد تمكنت من مواكبة الثورة العلمية التي تحققت في هذا المجال، وإن كان في حدود ما تسمح به آفاق العصر.

وفي وصف لبعض الآلات المستخدمة في جراحة العظام ما يفصح عن تزايد الأهمية التقنية في الصناعة الطبية، إذ قال الزهراوي مخاطبا أحد الجراحين : "إن لم يتأت لك رده وتسويته بيديك، فرده بهذه الآلة وهي آلة تصنع من حديد طولها قدر سبع أصابع أو ثمان وعرضها على قدر الجرح، ولذلك ينبغي للطبيب أن يتخذ منها ثلاثا أو أربعا على قدر ما يحتاج إليه من العلاج في كل نوع من الكسر، ولتكن مدورة يكون فيها غلظ قليلا لئلا تنثني عند الغمز عليها في وقت العمل، وتكون حادة الطرف لها عطف من طرفها ويكون أعلاها إلى الغلظ ومن نصفها إلى أسفل أرق جدا ... فإن لم تقدر على رد العظم بما وصفنا البتة فاقطعه بما شاكله من المقاطع التي ذكرنا أو نشره بأحد المناشير. "[196]

193- نفس المصدر والصفحة.

194- راجع : J. Ch. Sournia, *Medecins...*, op. cit., p. 168.

195- Loc. cit.

196- Ibid. p. 188.

وتزخر المصادر العربية بأسماء ترسانة من الآلات والأدوات الطبية، منها ما يصنع بالحديد مثل : "الكلاليب المحكمة" [197] والمرواد [198] والبيرم والمقاطع والمناشير[199] والمفاتيح المختلفة الأحجام والصنانير [200] ، فضلا عن المباضع والمقاريض [201] وغيرها . ومنها ما يتخذ من النحاس مثل : القدر[202] والمقادح [203] ، بل ومن الآلات ما "ينبغي أن يكون من نحاس أصفر" [204] دون غيره من الأصناف . في حين يضطر إلى استخدام الذهب [205] في صناعة عدد من الآلات الطبية الدقيقة . ولاتعوز التفاصيل عن اتخاذ "الحرير الابريسم" [206] و"الكتان الرطب" [207] و"الصوف النفوش" [208] و"الصوف الموذخ" [209] و"الخرق اللينة والاسفنج البحري [210] في صناعة الأضمدة والأشرطة للجروح وللجبر والكسور، الى ما يند عن الحصر من الوسائل والأدوات التي تتخذ من الخشب [211] والزجاج والفخار [212] .

197-انظر : J. Ch. Sournia, *Medecins...*, op. cit., p. 168.

198- Ibid. p. 172.

199- Ibid. p. 180.

200- الحريري ، المصدر السابق ، ق1 ، 214.

201- نفسه ، ق1، 215.

202- عبد الملك بن زهر ، التيسير . . . ، المصدر السابق ، 486.

203- الغافقي ، المصدر السابق ، 440.

204- نفس المصدر والصفحة .

205- نفس المصدر والصفحة . يستعمل الذهب مثلا في صناعة بعض انواع المقادح ، وفي هذا السياق ذكر الحريري انه "ينبغي أن تكون المكاوي من ذهب" ، المصدر السابق ، ق2 ,60.

206- عبد الملك بن زهر ، التيسير . . . ، المصدر السابق ، 451.

207- الزهراوي ، انظر : J. Ch. Sournia, *Medecins...*, op. cit., p.

208- نفس المصدر والصفحة .

209- الزهراوي، انظر : J.Ch. Sournia, *Medecins...*, op. cit., p.

210- نفس المصدر والصفحة .

211- نفسه : 178.

212- الغافقي ، المصدر السابق، 475.

ويقدم الغافقي وغيره من الكحالين فيضا من الرسوم والتفاصيل عن الآلات المستخدمة في طب العيون ، بما يكشف عن مستوى التطور التقني الذي تحقق في هذا المجال . فالمكاوي على سبيل المثال انواع متباينة : منها "مكاو صغار تكون رؤوسها مدورة" [213]، ومنها "العدسية" [214] لأنها "على قدر العدسة" [215] ، ومنها "المكواة الزيتونية" [216] والمكاوي التي "تسمى المسمارية ، وهي ببعض التعقيف وفي رأسها نتوء صغير" [217]. وتعتبر "المكواة السكينية" [218] ، التي تتفرع عنها "مكواة تسمى ذات السكينين" [219] "أفضل جميع المكاوي" [220]. بصرف النظر عن نوع متميز من الـ"مكوا ، دقيق برقة الإبرة معقب الرأس" [221] . ينطبق نفس الشيء على غيرها من الآلات المستعملة في طب العيون ، فبالاضافة للمهت والمباضع والمقاريض [222] ، نذكر الغمادين [223] والصنانير [224] والأنبوبة [225]

213- نفسه : 377.

214- الحريري ، المصدر السابق ، ق 2 ,60.

215- الغافقي ، المصدر السابق ، 377.

216- نفسه ، : 327.

217- نفسه ، 329.

218- نفسه ، 330.

219- نفس المصدر والصفحة .

220- نفس المصدر والصفحة .

221- نفسه ، 348.

222- الحريري ، المصدر السابق ، ق1 ، 215 و ق 2 ، 132. انظر كذلك : الغافقي ، المصدر السابق ، 341 و 440 و441.

223- الغافقي ، نفسه ، 345.

224- نفسه ، 367.

225- نفسه ، 368.

والمقادح [226] و "الكلاليب" [227] والوردة [228] والإبر [229] ، وغيرها من أصناف الآلات التي تتفرع بدورها الى ما يند عن الحصر من الأنواع والأشكال .

من المتعارف عليه أن الحجابة العامرية قد شنت حربا لا هوادة فيها على الفلسفة والحكمة ، وعلى كل ما يرتبط بهما من علوم . وهو ما عبر عنه ابن عذاري [230] بالقول : " كان المنصور أشد الناس في التغيير على من علم عنده شيء من الفلسفة والجدل في الإعتقاد والتكلم في شيء من النجوم وأدلتها" . ولا غرو، فقد انبرى لكتم انفاسهم بالإطباق في السجن [231] والنفي [232] والقتل [233] والمصادرة والتنكيل . فلقد امتحن سعيد بن فتحون – على سبيل المثال – من قبل المنصور بن أبي عامر" محنة أدت الى سجنه" [234]، لأنه "كان ذا حظ من علوم القدماء والفلاسفة" [235]. ولم يكن محمد بن مسعود البجاني ليسلم من الاتهام "بالرهق في دينه ، فسجنه بالمطبق مع الطليق القرشي" [236] ، وامتلأت السجون بـ" جماعة من الأدباء من وجوه قرطبة مرموقين بالإنهماك والزندقة" ، على حد تعبير أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي [237] .

226-نفسه ، 440.

227- نفسه ، 475.

228- وهي الآلة التي تستعمل لقلب الأجفان ، نفسه ، 339.

229- نفسه ، 348.

230- المصدر السابق ، ج2 ، 292.

231- الضبي ، المصدر السابق ، 432.

232- ابن الفرضي ، المصدر السابق ، 114.

233- عمن صلب على باب السدة بقرطبة راجع : ابن الفرضي ، المصدر السابق ، 275.

234- ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س 4 ، 41.

235- ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س 4 ، 41.

236- ابن بسام ، الذخيرة ، ق 1 ، م 1 ، 563.

237- سراج الملوك ، القاهرة ، 1319 هجرية ، 144.

توالت النكبات بعدئذ لتشمل العديد من أهل القلم ، وكثر التغرب في صفوف هذا الصنف "فسكن أكثر من كان تحرك للحكمة عند ذلك وخمدت نفوسهم وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم" [238]. إن في تأمل فصول هذه العملية وتتبع منحنياتها ما يكشف عن عمق وخطورة عمليتي البتر والإجتثات التي رامت السلطة السياسية العامرية إجراءها لهذا الجزء من الفكر الأندلسي . ولعل في إقدام المنصور بن أبي عامر - لما تجرد لإتلاف ذخائر مكتبة الحكم المستنصر - على تمييز المصنفات الصرفة الموضوعة في "الطب والحساب" [239] عن غيرها مما يرتبط بالفلسفة والمنطق والحكمة ، ما يؤكد أن العودة من جديد للسير في اتجاه فصل الطب عن الحكمة قد تمت تحت طائلة السيف وبفعل قرار سياسي .

حقيقة أن الفكر الفلسفي قد تمكن بعد سقوط الحجابة العامرية من استعادة بعض هوامش الفعل في الحقل الثقافي الاندلسي. وهو ما عبر عنه صاعد الأندلسي [240] في نص بالغ الدلالة إذ قال : " ولم يزل أولوا النباهة من ذلك يكتمون لما يعرفونه منها ، ويظهرون ما يجوز لهم منه من الحساب والفرائض والطب وما أشبه ذلك ، إلى أن انقرضت دولة بني أمية من الأندلس وافترق الملك . . . فلم تزل الرغبة ترتفع من حينئذ في طلب العلم القديم شيئا فشيئا وقواعد الطوائف تتبصر قليلا قليلا ، الى وقتنا هذا فالحال نحمد الله تعالى أفضل ما كانت بالأندلس في إباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجير طلبها ، إلا أن زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها ، واشتغال الخواطر بما دهم الثغور من تغلب المشركين عاما فعاما على أطرافها، وضعف أهلها عن مدافعتهم عنها قلل طلاب العلم وصيرهم أفرادا بالأندلس" . لعل في هذا ما يفصح عن دور الإختلال الأمني والإضطراب السياسي العام الذي عم البلاد في الحد من الإنتعاش النسبي ، ليس فقط بالنسبة للحكمة والفلسفة ، بل وفيما يتعلق بالنشاط الثقافي عموما .

238- صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 164.

239- نفسه ، 163.

240- نفسه ، 164-65.

ونتوفر على جملة من التفاصيل عن تزايد اهتمام أطباء عصر الطوائف بالمنطق والفلسفة وبغيرها من علوم الأوائل ، مما يؤكد حدوث تحسن نسبي في " مطالعة كتب الفلاسفة " [241] ، والإعتناء بمصنفات " جالينوس " [242] وأرسطو طاليس [243] ، والنظر في علم " المنطق والنجوم " [244] ، والتحقق في " صناعة الكيمياء " [245] و " الهندسة " [246] ، والـ " مشاركة في سائر العلوم الحكمية " [247] . لم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل سرعان ما تحركت الهمم لوضع " كتب جليلة في أنواع الفلسفة وضروب الحكمة " [248] ، إسهاما في تعضيد النزر اليسير من المصنفات التي أعيدت من جديد للتداول " بأقطار الأندلس ، ووجدوا في خلالها أغلاقا من العلوم القديمة كانت أفلتت من أيدي الممتحنين لخزانة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر " [249] . ولا تعوز القرائن عمن " قعد ليعلم ذلك في بلده " [250] ، مساهما بذلك في تألق جملة " من الأحداث يتميزون بطلب الفلسفة ذوي أفهام صحيحة وهمم رفيعة ، قد أخذوا من أجزائها حظا وافرا " [251] . وليس مصادفة أن تجلب خلال هذا العصر ولأول مرة " الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا " [252] الى الأندلس ، كما " وصل كتاب

241- ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، 497.

242- نفس المصدر والصفحة ؛ انظر كذلك : صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 195.

243- ابن ابي أصيبعة ، المصدر السابق ، 496 ؛ صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 195.

244- ابن ابي اصيبعة ، نفسه ، 491.

245- صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 197.

246- نفسه ، 173.

247- ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، 497.

248- نفسه ، 495.

249- صاعد الاندلسي ، المصدر السابق ، 164-65.

250- نفسه ، 175.

251- نفسه ، 180.

252- ابن ابي اصيبعة ، المصدر السابق ، 484-85.

القانون لابن سينا الى المغرب "[253] بعدئذ كما هو معلوم . ولعل في هذا ما يدل على المحاولات المبذولة لتجميع القوى ولم الشتات لإعادة الحيوية من جديد الى هذا الجانب الحديث العهد بالبتر من الفكر الأندلسي .

مع ذلك ، لم تتوقف عمليات المتابعة والتنكيل بالفلاسفة وطلاب الحكمة ، وإن بدرجات متفاوتة . فبالمرية على سبيل المثال ، أخذت الظنون أحدهم ممن "تفنن في العلوم لا سيما القديمة "[254]، مما اضطره الى التخلي عن خدمة ملكها ، فـ" فر عنه الى ابن هود صاحب سرقسطة "[255]. وبميورقة ، لهجت الألسنة بذم أحدهم واعتباره" حليف كفر لا إيمان "[256] لكونه من محبي الحكمة ، و"يضرب في الطب بنصيب "[257]، فلم يجد صاحبها بدا من الأمر بنفيه تهدئة للخواطر . وبالمثل ، ففي مملكة بني عباد، طالت الألسنة أحدهم ممن "كان يرهق في دينه فأفضت به الحال في إشبيلية إلى الإعتقال "[258].

إلا أن العداء للحكمة ومجابهة الفلسفة والفكر المستنير عموما، قد غدا منذ هذا التاريخ من مهام صنف من أهل القلم حديثي العهد بالخطط الإدارية والقضائية والمالية، ممن ركضوا في حلبة الدواوين وترسخت أقدامهم تدريجيا ابتداء من الإنقلاب العامري. ومن المعلوم انهم قد تفانوا في العمل على إقصاء منافسيهم، ولم يذخروا وسعا في سبيل الإمساك بتلابيب العوام، وتحريكهم للإجهاز على ما تبقى من الحكمة والفلسفة[259]. لا غرابة في ظل هذا المناخ أن يتجرد أحد كبار فقهاء عصره لتحذير الناس من " قراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة ، فإن ذلك مبني

253- نفسه ، 517.

254- ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج2 ، 143.

255- نفسه ، ج2، 144.

256- ابن خاقان ، قلائد العقيان ، طبعة 1234 هجرية ، 295.

257- نفس المصدر والصفحة .

258- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، م1 ، 373.

259- لمزيد من التفصيل بهذا الخصوص راجع : احمد الطاهري، دراسات ومباحث. . . ، المرجع السابق ، 119-21. عن علاقة الحجابة العامرية بالعامة ، وعن جذور التحول في بنيان نظام الخلافة ابتداء من الانقلاب العامري ، راجع دراستنا عن عامة قرطبة ، في أماكن متعددة .

على الكفر والإلحاد والبعد عن الشريعة " على حد تعليله (260) . ولم يتردد في أكثر من مناسبة عن تسفيه المشتغلين بهذا الميدان ، باعتبارهم حسب تقديره " من الأغمار والأحداث . . . جهالا عدلوا عن قراءة الشرائع وأحكام الكتاب والسنن إلى قراءة الجهالات من المنطق " (261) ، كاشفا عن شمولية الردة لدار الإسلام مشرقا ومغربا بقوله في عبارة مقتضبة دالة : " وقد رأيت ببغداد وغيرها من يدعي منهم هذا الشأن مستحقرا مستهجنا مستضعفا " (262) .

مع ذلك ، لا تعوز الدلائل عمن آثر الوقوف موقفا معتدلا يميز في الحقل الفلسفي بين العلم الالهي ، الذي يلزم الرد عليه والتصدي له ، وبين " المنطقيات والطبيعيات والرياضيات ، لأنه لا ضرر فيها علينا لأنها كلام في البرهان وتركيب القياس وحفظ الصحة ورد المرض " ، على حد تعبير أحدهم (263) .

تأرجحت المواقف وردود الفعل في ظل هذه التحولات الفكرية بين الإصرار على إفحام كل من ادعى بـ" أن علم الفلسفة وحدود المنطق منافية للشريعة " (264) ، وبين الإنقباض والتخلي تقية عن " قراءة العلوم والإقبال على قراءة القرآن " (265) . وفي أسى بالغ مشفوع ببصيص أمل ، كاتب ابن الحوات قرينه ابن حزم بما يكشف عن عمق عجلة التردي وقوة تيار الإنحدار وإحكام الطوق إذ قال : " لن تزال الدنيا بخير ما دام مثلك مرفوع اللواء ، معمور الفناء . . . فنحن غرباء بين المتعصبين " (266) .

260- المقصود هنا ابو الوليد الباجي ، وصيته لولديه ، تحقيق جودة عبد الرحمن ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، العدد 3 ، المجلد 1 ، مدريد 1955 ، 35.

261- ابو الوليد الباجي، إحكام الفصول في أحكام الأصول ، تحقيق عبد المجيد تركي ، بيروت، 1986 ,530.

262- ابو الوليد الباجي ، وصيته لولديه ، المصدر السابق ، 35.

263- الغساني ، نزهة الظرفاء ، مخطوط الأسكوريال ، رقم 245، ورقة 106 أ .

264- وهو الموقف الذي اتخذه ابن حزم دفاعا عن الفلسفة والفلاسفة ، انظر : الرسائل ، المصدر السابق ، ج 4 ، 332.

265- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، 495.

266- ابن حزم ، الرسائل ، المصدر السابق ، ج3، 187.

بلغ التسفيه من الشيوع أن غدا من المعروف لدى الخاص والعام أن كل من تشاغل بحب الفلسفة وتعاطي الحكمة " لم يحصل منها بطائل في يديه " [267] .

في ظل هذا المناخ المطبوع بالمواجهات بين التيار الداعي الى الإنغلاق الثقافي في إطار علم الشرائع والأديان ، وبين التوجه الى ابراز قيمة غيرها من العلوم والمعارف ، انفجر الصراع الذي سرعان ما تحول الى سجال بين الأطباء انطلاقا من مدينة البصرة ، وتحديدا منذ " سنة تسع وعشرين وأربعمائة للهجرة " [268] . والجدير بالملاحظة ان هذا الجدال قد تمحور أساسا حول قضية فصل الطب عن الحكمة ، وهو ما دعا اليه الطبيب الشهير أبو سعيد بن بختيشوع الذي تجرد للدفاع بحزم عن هذا الطرح ، مؤكدا " أن المتخصص من العلماء من اعتمد لزوم قوانين العلم وكان الحق بغيته واليقين طلبته وترك الهوى استاره والصدق مراده ، ومن تكن هذه أوصافه فخيره عام للابدين به وفوائده مجتباة للسامعين له " [269] . ولقد كان صارما في انتقاداته لمحبي الحكمة من الأطباء ، باعتبارهم ممن يتخذ " الهذر رأيه وتنميق الألفاظ الموهمة شعاره والمغالطة دثاره ومحبة المديح الكاذب دأبه وجحد الحق والصواب ديدنه فهو مضر لمن خالطه " [270] . مما يكشف عن مراهنة هذا التصور الذي ما فتئ يزداد انتشارا على القول بالتزام العلم الصرف والوقوف عند حدود الممارسة الإجرائية التطبيقية في إفحام الخصوم . ومغالاة في اعتبار الحكمة والفلسفة وهما وسفسطة ، لم يتردد ابن بختيشوع [271] من الإقرار بأن الإرتكاز على " اليسير من ضياء الحس خير من كثير من حفظ الحكمة " .

267- الاصفهاني ، خريدة القصر ، تحقيق آذرتاش آذرنوش ، الدار التونسية للنشر ، 1986 ، ج3، 427.

268- ابن بختيشوع ، رسالة في الطب ، المصدر السابق ، 22.

269- نفسه ،23.

270- نفس المصدر والصفحة .

271- كتاب الروضة الطبية ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 889 ، ورقة 22 ب .

وسواء بالنسبة للمغرب والأندلس أو فيما يتعلق بمصر وديار المشرق ، لا تعوز القرائن والمؤشرات الدالة على الشروع الفعلي ابتداء من القرن الخامس الهجري في فصل الطب عن الحكمة . وهو ما انبرى الطبيب المصري الشهير ابن رضوان للتصدي له والتحذير من مخاطره ومن مغبة مسايرة المزاعم السالفة الذكر على مستقبل علم الطب . ولم يذخر وسعا في التنبيه على قيمة علوم " الطبيعة . . . ومعرفة طبائع الأغذية والأدوية والتشريح وسائر ما ينظر فيه أصحاب القياس من الأطباء "[272] ، ناهيك عن الأهمية الفعلية للحكمة وسائر " انواع الفلسفة "[273] .

لم يكن ابن حزم[274] بالأندلس أقل تهكما على " من تعلق بالطب فلم ير علما غيره فيقال له : إنك لا تشك أنه قد يكون فيمن لا يتعانى ولا يحسن الطب أحسن أجساما وأطول أعمارا من المتعانين كأهل البادية والعامة والبلاد التي لا يحسن أهلها الطب " ، متسائلا باستنكار عما آلت اليه أوضاع عصره بالقول : " فما فائدة الطب إذا ؟ "[275] . على غراره ، تفانى بعض أقطاب أهل القلم في إبراز أهمية الفلسفة مع الكشف عن دورها الفعال في تقدم وتأطير جملة من العلوم المختلفة . يميز ابن ابي الصلت الداني[276] على سبيل المثال المعارف والعلوم الى مستويين : عام " كصناعة الجدل والفلسفة العليا " ، وخاص " كالطب والهندسة "[277] ، مؤكدا على دورالعلاقة الجدلية القائمة بين المستويين في الدفع بالمعارف الإنسانية إلى مستويات أرقى . وفي نص فائق الأهمية ، لم يتردد ابن أبي الصلت[278] عن اعتبار الفلسفة والحكمة أم الصنائع والعلوم ، علما بـ" أن مبادئ كل واحدة من الصنائع

272-ابن رضوان ، المصدر السابق ، 21.

273- نفسه ، 1.

274- الرسائل ، المصدر السابق ، ج 4، 88.

275- نفس المصدر والصفحة .

276- تقويم الذهن ، نشر وتحقيق وترجمة آنخل جونثالث بلنثيا ، مدريد ، 1915 ,52.

277- نفس المصدر والصفحة .

278- نفس المصدر والصفحة .

الجزئية مشتملة في تلك الصناعة التي هي مبادئ لها ومبرهنة في الصناعة التي هي أعلى مرتبة منها ، الى أن ينتهي ذلك الى صناعة الصناعات وعلم العلوم" .

في حين ، دأب غيره على إبراز دور الفلسفة في إحكام الحدود بين الحقول المعرفية والحرص على استقلال العلوم ، ناهيك عن مكانتها كحكم على المستويين الإبستملوجي والمنهجي . فبصرف النظر عن الإقرار بقول " أهل الفلسفة (أنه) يجب أن تحمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها "[279] ، فمن المعلوم انهم " كانوا يرون أن إدخال بعض الصناعات في بعض إنما يكون من جهل المتكلم أو عن قصد من المغالطة "[280] . بل ومن أهل القلم من ذهب - إيثارا للحكمة وأهلها وإبرازا لقيمتها المعرفية والمنهجية والإبستملوجية - الى إدراج كل من اشتهر بكونه " عالما حكيما ذا رأي وفهم وفكر صحيح في عداد الفلاسفة "[281]، مميزا اياهم عن المقلدين والحفاظ المنغلقين في إطار علوم الشرائع ، ممن يعجزون عن الإجتهاد وتشغيل بقية ملكات الفكر والسمو بالمعرفة الى مستويات أرقى .

بينما انصبت جهود البعض على البحث في الماضي العربي الإسلامي لالتماس ما يساهم في تعضيد موقف الفلسفة والفلاسفة من خلال آراء بعض المشاهير من أمثال الجاحظ الذي طالما أكد بأن الفلسفة " أداة الضمائر وآلة الخواطر وساع العقل وأدلة المعرفة والأجناس والصور والأشخاص والعناصر والأعراض والجواهر واختلاف الطبائع والسجايا والغرائز ومعرفة الأهلة ومقادير الأطلة وساعات الليل والنهار في الزيادة والنقصان وإمارات الغيوم والأمطار وأوقات سلامة الزرع والثمار [282].

والجدير بالملاحظة ان تيار الإنغلاق لم يقتصر على الدعوة الى فصل الطب عن الفلسفة ، بل وشمل كذلك مختلف العلوم ذات الإرتباط بالحكمة . ففي الميدان اللغوي ، تزايد الإلحاح على ضرورة منع كل من " يريد أن يدخل صناعة المنطق في

279- البطليوسي ، كتاب المسائل والأجوبة ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 1518 ، ورقة43.

280- نفس المصدر والورقة .

281- الخصيبي المنجم ، كتاب المواليد ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 940 ، ورقة 30 أ .

282- الغساني ، المصدر السابق ، ورقة 99.

صناعة النحو "[283] بدعوى أن "صناعة النحو تستعمل فيها مجازات ومسامحات لا يستعملها أهل المنطق "[284]. ولقد بلغ التعصب بالبعض إلى حد التشهير بكفر وإلحاد المخالفين ، وهو ما نبه البطليوسي [285] على خطورته، داعيا الى الإعتدال والتروي، فـ"الواجب أن لا يكفر أحد ممن يصلي الى القبلة وإن كان مخطئا في مذهبه لتمسكه بأصل الدين" . لعل في هذا ما يدل على أن السلطة الثقافية التي تمكنت من الإمساك بزمام المبادرة - وإن تدريجيا - منذ الإنقلاب العامري السالف الذكر، قد عملت على استنفار الجهود في كل الحقول المعرفية لعزل الفلسفة عن العلوم قصد تسهيل وترتيب الإجهاز عليها . بمعنى أن المسألة لم تكن مجرد اختلاف في التقدير وصراع بين التيارات والمذاهب ، بقدرما كانت تجليات ومظاهر لأكبر حركة ارتداد في الفكر العربي الإسلامي الوسيط . فمنذ هذا العصر ، وتحديدا حوالي منتصف القرن الخامس الهجري بذرت بذور الإنحطاط المتميز بوضع الأغلاق على الفكر، والزج به في ركاب التقليد الموسوم بالعقم والتحجر .

ومما يسترعي الإنتباه ، الإجماع الشبه المطلق لدى الدارسين المعاصرين على اعتبار القرن الخامس الهجري - على عكس ما نذهب اليه في هذا التحليل - "منطلق تطور مختلف العلوم بالأندلس ، وبالخصوص علم الطب "[286]. ولم يتردد فرانكه [287] من الإقرار مجاراة لابن بختيشوع ولغيره ممن تحمس للدفاع عن مشروع فصل الطب عن الحكمة بـ " أن الفلسفة كانت غالبا حجر عثرة في طريق تطور العلوم" ، مؤكدا على أن " تحرير الطب من القيود الفلسفية"[288] هو الذي يفسر ما تحقق من تقدم في الطب العربي الإسلامي الوسيط. ولعل فى اعتماد نظرة تجزيئية الى

283- البطليوسي . ، الأسئلة والأجوبة ، ورقة 43 أ .

284- نفس المصدر والورقة .

285- نفسه ، ورقة 73 أ .

286- M. Meyerhof, "Esquisse...", *op. cit*, p. 13.

287- انظر : ابن بختيشوع ، رسالة في الطب. . . ، المصدر السابق ، 13.

288- نفس المصدر والصفحة .

التطورات التي مست الميدان الطبي خلال العصور اللاحقة للقرن الخامس الهجري ، بالإضافة الى الأثر البالغ الذي ما زالت جدلية العلاقة بين الفلسفة والعلوم في التجربة الأروبية الحديثة تمارسه على تصورات مؤرخي العلوم ، ما يفسرعدم الإنتباه الى مدى شساعة الهوة بين هذه الإسقاطات والواقع التاريخي .

حقيقة أن الطب بالأندلس استمر متألقا على مستوى نجاعة الأدوية ووسائل الإستشفاء والتطبيب ، ليس فقط خلال القرن الخامس الهجري ، بل وكذا خلال القرن اللاحق بعده . مصداق ذلك ، انه برغم إقرار عبد الملك بن زهر[289] بأن مصنفه في المداواة والتدبير، "سهلا غاية الإيجاز والإختصار" ، فما زال المعاصرون "من مؤرخي الطب العربي[يجمعون] بان كتاب التيسير يعد في مرتبة أعظم الكتب العربية التي عرفت في تاريخ الطب "[290]. ومن المعلوم أن عبد الملك بن زهر على ميله الى الأخذ بـ"القياس والنظر "[291] قد آثر استخدام المنهج التجريبي ، علما بأن التجربة وحدها هي التي تثبت الحقائق وتذهب البواطل "[292]. ولقد عمد في أكثر من مناسبة الى تمييز آراء الفلاسفة عن آراء الأطباء[293]، دون إغفال التأكيد على أن "البرهان هو ميزان حق في الحجج "[294]، مع إبراز قيمة المنهج البرهاني بالمقارنة مع اساليب الإحتجاج القائمة على الإقناع والسفسطة والتخيل الشائعة الإستخدام في حقل الجدال والكلام . ولم يفته في هذا السياق التنبيه على أن مفتاح التمييز بين هذه المستويات والأقوال لا يملكه " إلا البصير بعلم المنطق وخاصة إن كان بصيرا بعلم الطب ، فحينئذ يمكنه أن يميز الحق من الباطل " [295].

289- كتاب التيسير . . . ، المصدر السابق ، 7. ومن المعلوم ان الطبيب الشهير عبد الملك بن زهر من أهل القرن السادس .

290- نفسه ، 5.

291- نفسه ، 123.

292- نفسه ، 327.

293- انظر : نفسه ، 185.

294- نفسه ، 326.

295- نفس المصدر والصفحة .

وعلى إثر إقدام السلطان المنصور الموحدي لاحقا على استكمال حلقات ترصد ومتابعة الفكر المستنير، و" قصد ان لا يترك شيئا من كتب المنطق والحكمة باقيا في بلاده ، وأباد كثيرا منها بإحراقها بالنار، وشدد في أن لا يبقى أحد يشتغل بشيء منها، وأنه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه ، فإنه يلحقه ضرر عظيم " [296]. لم يجد ابو بكر بن زهر الحفيد بدا من الإمتثال " لأمر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم ، وأن لا يبقى شيئا منها " [297]. بل وسرعان ما شرع في الجهر بذم المنطق وتحذير طلبة العلم من الإلتباس به ، وحثهم على الإهتمام بـ " حفظ القرآن ، وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه ، وأن يواضبوا على مراعاة الأمور الشرعية والإقتداء بها " [298] ، درءا للشبهة ودفعا للتهمة .

وبصرف النظر عما تعرض له بنو زهر الأطباء خلفا عن سلف من متابعة وحصار واضطهاد ومصادرة منذ العصر العبادي [299]، وبعدئذ خلال فترة المرابطين والموحدين ، ففي الملاحظات السالفة ما يؤكد انهم يقدمون مثالا عن ذيول وتداعيات عصرالتألق ، وفرعا من طينة الأطباء الذين أصروا إيمانا بشرف المهنة ، على أهمية الحفاظ على الروابط بين الطب والمنطق والحكمة ، وإن لم تكن الظروف السياسية والمناخ الثقافي العام تسمح للجهر بذلك والكشف عنه للعامة ، إقراء وممارسة وتصنيفا .

296- ا بن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، 523.

297- نفس المصدر والصفحة .

298- نفس المصدر والصفحة .

299- لمزيد من التفاصيل عن عمليات الغصب والمصادرة التي تعرض لها آل زهر انظر: ابن الحاج، النوازل ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم ج 55 ، 118 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 3، 432 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 2 ، م 1 ، 220 ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج8، 28-29 ؛ الونشريسي ، المصدر السابق ، ج 10 ، 55-56 ؛ عبد الملك بن زهر ، كتاب التيسير . . . ، المصدر السابق ، 319.

مع ذلك، لا تعوز المؤشرات الدالة على أن الطب العلمي المتقدم لم يعد في ظل الظروف المستجدة قادرا على الإستمرار في خدمة العامة ، بل أصبح قاصرا - على غرار ما كانت عليه الأمور خلال القرن الثالث الهجري ، قبل قيام الخلافة الأموية - على تلبية متطلبات السلاطين والأمراء والمتنفذين من علية القوم. ويكشف ابن رضوان [300] في حسرة وأسى عن وقع تيار التردي على واقع الصناعة الطبية وأخلاقيات المهنة ، إذ قال في رواية مختصرة دالة: "ولقيني أيضا منذ أيام بعض أطباء الفسطاط المشهورين وأخذ بيدي ولامني على تأخيري عن الرؤساء وجمع المال واشتغالي عن ذلك بقراءة كتب الأوائل والعمل بها والدربة فيها وإهمالي أمر ما الناس عليه من محبة الدنيا والدراهم فقلت له : ان جالينوس ليس يرضى أن يسمى هؤلاء الأطباء الذين يواضبون على أبواب الرؤساء بوابين للأبواب ولكن أخس من ذلك" .

ما كان لهذا المنحى إلا أن يتعمق خلال القرون اللاحقة ، وتدريجيا لم يعد بمقدور العوام ومتوسطي الحال الحصول على الأدوية والمستحضرات الطبية والصيدلية، ولا الإستفادة من الخدمات الطبية، إذ غدت "مما يطالب به الملوك الأطباء" [301] خاصة. بديهي في ظل هذه التحولات أن تعود الصناعة الطبية كما كانت خلال القرن الثالث الهجري مغلقة في إطار عائلي متوارث، وتغدو المعرفة الطبية النظرية والممارسة العملية من جديد سرا محفوظا. ويقدم آل زهر الإشبيليين المثال الأكثر دلالة عن هذا المنحى. وهو ما أكده عبد الله بن قاسم الحريري [302] بوضوح تام إذ قال : " كان حصل لي سمة في علم الطب مما حصل لي بالإرث عن الأب والجد" .

إلا أن أبرز ما طرأ على الصناعة الطبية من تغيير في ظل هذه التحولات يكمن في تلاشي تقسيم العمل بين الطبيب الحكيم الذي كان يـ"رأس في علمه الطب"

300- المصدر السابق ،23.

301- الغافقي ، المصدر السابق ،416.

302- المصدر السابق ،22.

[303]، ويقتصر دوره على استكشاف الأمراض والعلل، وتحديد الأسباب ووسائل العلاج ووصفات الأدوية " ولا يتناول بيديه شيئا من ذلك ، كما ليس من شأنه أن يعقد المعاجن إلا في الضرورة "[304] وبين الطبيب المعالج الذي تشمل "مهنته الأعمال . . . ومحاولة ذلك باليد "[305] .

وتقدم المصنفات الطبية ونوازل العصر الفقهية فيضا من المعلومات عمن " استأجر طبيبا ليكويه "[306] وعن الجراحين والفصادين والقداحين و" صناع اليد " [307] ، إضافة الى " خدمة الطبيب ، شأنهم محاولة ذلك بأيديهم "[308] : منهم من كان من الـ" الخدمة الحذاق "[309]، ومنهم من كان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح لاكتساب الخبرة والتجربة . ناهيك عما يند عن الحصر من " الخدمة الممسكين "[310] بالمرضى في البيماريستانات وعيادات الأطباء ومراكز الإستشفاء . ويبدو أن عبد الملك بن زهر كان من أوائل الذين أعلنوا الثورة على هذا التقسيم[311] بين المستويين ، ليتكرس بعدئذ على أوسع نطاق بالمشرق والمغرب على السواء .

وأمام اقتصار الطب العلمي التجريبي على خدمة الملوك وأهل اليسار، لم يجد العامة ومتوسطو الحال بدا من التماس طب بديل . هكذا غدت سوق " العرافين "[312] نافقة من جديد بمختلف الحواضر والبوادي الأندلسية ابتداء من القرن الخامس

303- عبد الملك بن زهر ، التيسير . . . ، المصدر السابق ، 301.

304- نفسه ، 319.

305- نفسه ، 320.

306- ا بن سهل ، النوازل ، المصدر السابق ، رقم 838ق ، 178.

307- عبد الملك بن زهر ، التيسير . . . ، المصدر السابق ، 297.

308- نفسه ، 315.

309- نفسه ، 317.

310- عبد الملك بن زهر ، التيسير . . . ، المصدر السابق ، 317.

311- انظر التفاصيل في : نفسه ، 316-20.

312- نفسه ، 308.

الهجري ، كما ذاع صيت عدد من " عجائزي "[313] النساء ، الممارسات للتطبيب والإستشفاء والعلاج بأصناف من الأعمال والطقوس ، اعتمادا على ما تراكم لديهن من خبرة مكتسبة بطول السن والتجربة . ولقد بلغ الطب العامي من الإنتشار والتأثير، بل وأحيانا من المصداقية ، أن لم يجد بعض الأطباء بدا من الإعتراف بنجاعته . فلقد اضطر كبير أطباء عصره عبد الملك بن زهر [314] إلى الإعتراف على مضض بان " عوام الناس وعجائز النسوان قاتلهم الله ، يجيدون من معرفة الأدوية ما لا يعرفه الطبيب " .

إلا أن أخطر ما آلت اليه أوضاع الطب وهو معزول عن الحكمة ومنفصل عن الأبعاد الفلسفية يكمن في تزايد التباسه ابتداء من هذا التاريخ وطوال قرون الإنحطاط التالية بالتمويه والشعوذة ، تبعا لابتعاده التدريجي عن قواعد العلم والمعرفة ، وتخليه عن الإحتكام لمحك الممارسة والتجربة .

ويرجع الفضل للطبيب المصري الشهير ابن رضوان [315] في الكشف عن البوادر الأولى لهذه الظاهرة ، التي سرعان ما انتشرت تحت تأثير عوامل الإختلال الحضاري العام، لتصبح شاملة لدار الإسلام مشرقا ومغربا ، إذ قال في نص مقتضب عميق الدلالات : " . . . فمن ذلك أن رجلا من وجوه أطباء الفسطاط صار له صيت بأن كان يركب ويجعل تحته مخدة في السرج ، ولا ينظر في علة أحد حتى يخرج اسطرلابا من كمه فينظر فيه، فظن العوام عند ذلك أنه حكيم بارع . . . ومنهم شيخ عظيم اللحية ليس يحسن الإستخراج ولا الكتابة فضلا عن غيرهما، ودخل على الناس بأن كان يخاطب النساء بما يليق بهن من أمر النكاح وكذلك الرجال ويلين كلامه ويهش اليهم ، ويجعل ذلك على سبيل الدعابة والمرح معهم فتواصفوه وصار له ذكر عظيم ومكسب حسن . واني أعرف شيخا آخر منهم لست أعلم أن في العالم رجلا آخر أجهل منه في سائر الوجوه كلها . . . موه على الناس والأكابر بإظهار

313-نفسه ، 340.

314- نفسه ، 251.

315- المصدر السابق ، 24.

العجب والغضب فقام له بذلك سوق كبير بإظهاره خدمة السلطان" . ونتوفر على فيض من التفاصيل عن غير هؤلاء من أطباء هذا العصر ممن " تموه على العوام بمخالطة ذوي اليسار "[316]وتفانى في اتخاذ اصناف من المظاهر الزائفة لاكتساب الصيت والشهرة .

ولعل في قول ابن رضوان [317] في عبارة تهكمية ذات مسحة من الحزن والأسى الناتجين عن معاينة عمق منحى الإنهيار والتردي : "أن النافع اليوم بمصر في صناعة الطب طول اللحية مع الشيب وحسن الملبوس والمركوب والمفاخرة بذلك " ، ما يكشف ليس فقط عن الحد الفاصل بين حقبتين مختلفتين تمام الإختلاف في الصيرورة التاريخية للطب العربي، بل وكذا عن سطحية إن لم يكن سذاجة القول بان فصل الطب عن الحكمة قد أفضى الى تقدم علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية .

خلاصة القول – ان فصل الطب عن الحكمة والفلسفة خلال مرحلة التأسيس ، منذ الفتح الإسلامي للأندلس إلى أواخر عصر الإمارة ، قد ساهم في الإبقاء على الطب الأندلسي أسيرا للمعارف القديمة ، ومنغلقا على نفسه في إطار عائلي وعشائري متوارث ومرتبطا بخدمة البلاط وتلبية حاجيات ذوي اليسار من علية القوم . وبعودة الربط بين المستويين خلال عصر الخلافة ، انفسح المجال أمام الطب ، ليس فقط لبعث التراكم المعرفي الهائل الذي تحقق لدى مختلف الأمم والحضارات السابقة ، وجعله في متناول طلاب العلم على أوسع نطاق ، بل وكذلك للدفع بالصناعة الطبية عملا ونظرا ، ممارسة واختبارا الى تحقيق مستويات غير معهودة . إلا أن بذر بذور الردة بعدئذ بالحجر على تعاطي الفلسفة والحكمة والمنطق ، ابتداء من القرن الخامس الهجري ، كان له ابلغ الأثر في تلاشي الطابع العلمي التجريبي عن الممارسة الطبية ، والشروع في تكريس أشكال من التمويه والتعويذ والشعوذة .

316- نفسه ، 23.

317- نفس المصدر والصفحة .

المبحث الثالث :

النظري والتطبيقي في التصنيف الفلاحي

لا يقل التراث الفلاحي أهمية في الكشف عن حلقات الإتصال والإنفصال بين المعرفة العلمية والبعدين التجريبي والفلسفي على مدار التاريخ الأندلسي . وعلى عكس التحليل السابق ، يكاد يجمع المهتمون [1] بكتب الفلاحة على الإقرار بأن ذروة العطاء في هذا الحقل المعرفي قد تحققت خلال القرن الخامس الهجري . ولم يتردد البعض [2] عن القول بحدوث ثورة فلاحية حقيقية خلال هذا العصر المتميز باختلال المركزية السياسية على إثر انهيار نظام الخلافة بقرطبة وقيام الطوائف بمجموع البلاد الأندلسية . وينبني هذا التحليل على الإعتقاد بأن التوجه الإقليمي في اطار نظام الطوائف قد ساهم في تجاوز العراقيل الموروثة عن العصر السابق في ظل الجماعة ، الذي اهمل مراعاة الخصوصيات المحلية والإقليمية [3]. بذلك تكون المفارقة الطائفية قد وفرت إمكانات هامة لإعادة الهيكلة ، في اتجاه الدفع بالنمو الى أقصى مستوياته . أفضت هذه التحولات - حسب هذا التصور- الى توفير أسس نشاط فلاحي كثيف ، يستند على قواعد علمية ومعقلنة [4]، ساهم ملوك الطوائف

1- J. Samso, "los naturalistas hispano-musulmanes" in, *actas de las jornadas de cultura árabe e islámica,* Madrid, 1981. J. Bosch Vilá, *Historia de Sevilla,* Universidad de Sevilla, Utrera, 1984, p. 110; voir aussi, E. Garcia Sanchés, "Agriculture in Muslim Spain" in, *The legacy of musulim Spain,* Leiden- new york, Brill, 1992, p. 989.

2- L. Bolens, *Agronomes andalous au Moyen Age,* Genève - Paris, Droz, 1981, passim; et aussi, *L'Andalousie de quotidien au sacré XI-XIIIè siècle,* Great Britain, 1990, pp. 121-41, voir aussi, "La révolution agricole andalouse du XI siècle", in, *Studia Islamica,* X L VII, 1978, pp. 121-41.

3- L. Bolens, "La révolution...", *op. cit,* p. 122 et 135-36.

4- Ibid., p. 122. voir aussi, *Agronomes...,* op. cit., p.9.

بفعالية [5] في تشجيعه بمختلف الوسائل، بما في ذلك خلق وتمويل صنف رائد من الحقول المخصصة للتجارب الفلاحية [6].

وحتى يتمكن هذا التصور من التماسك في ظل سياق تاريخي مقنع ، لم يتردد الداعون اليه من إقصاء مختلف القرائن التاريخية ، وغض الطرف عن مختلف الدلائل الكاشفة عن الآثار السلبية الناتجة عن انهيار صرح الخلافة، بما في ذلك الشهادات المعاينة لشيخ المؤرخين أبي مروان بن حيان وروايات ابن عذاري المراكشي [7] وغيرهما . وفي إطار تأويل تأملي ، اعتبرت الحقائق التاريخية الدالة على عمق الإختلال الذي أصاب مجموع الأنشطة الإقتصادية بالأندلس على إثر انهيار صرح الخلافة ، بما في ذلك الأنشطة الفلاحية ، مجرد استنتاجات صيغت من موقف الإيمان بوحدة النموذج في اطار نظام الجماعة ، في مواجهة المفارقة الطائفية. ولعل في شيوع الإعتقاد لدى المهتمين بالتراث العلمي عموما [8] ان الأندلس قد بلغت ذروة نضجها العلمي خلال القرن الخامس الهجري ، ما قلل من التحفظات وشجع المهتمين بحقل الفلاحة على الإنسياق هم كذلك في هذا المنحى.

حقيقة أن أهم ما لدينا من نصوص فلاحية قد صنف خلال عصر الطوائف،

5- Bolens, *L'Andalousie du quotidien..*, op. cit., p. 122.

6- وضعت تحت إشراف مشاهير علماء الفلاحة وألحقت بخدمة الممالك الطائفية، خصوصا بطليطلة في ظل بني ذي النون وفي اشبيلية في كنف بني عباد . وهي حقول التجارب الفلاحية التي اعتبرت من طرف ثلة من المهتمين بالتراث الفلاحي الأندلسي الأولى من نوعها في التاريخ .

7- Bolens, *L'Andalousie du quotidien..*, op. cit., p. 2.

8- J. Vernet, "Panorama de la ciencia", in, actas de *las jornadas de cultura árabe e islámica,* Madrid, 1981, pp. 135-37; J. Samso, "los naturalistas..., *op. cit.*, p. 23 ; L. Leclerc, Medecine..., *op. cit.*, T. I., pp.1.

سواء من طرف علماء الفلاحة بإشبيلية من أمثال أبي الخير [9] وابن حجاج [10]، أو من طرف أهل طليطلة مثل المصنف الشهير ابن بصال ، الذي انتقل من الحاضرة الذنونية على إثر سقوطها في يد الفونسو السادس سنة ثمان وسبعين واربعمائة لخدمة صاحب اشبيلية المعتمد بن عباد . والجدير بالملاحظة ان النص المنشور من كتابه يوافق تماما النص المنسوب لابن حجاج ضمن مجموع في الفلاحة [11]. لعل في هذا

9- يوجد النص المنسوب اليه في عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان وبالمكتبة الوطنية بباريس وبأرشيفات تونس واسبانيا . ولقد عمد التهامي الجعفري منذ مدة الى نشر نص في الفلاحة منسوب لأبي الخير هذا سنة 1357 هجرية ، مما أثار حفيظة بعض الدارسين الذين اعتبروه خليطا من النصوص الفلاحية ولا يتضمن إلا فقرات محدودة من الكتاب الأصلي الذي وضعه أبو الخير . انظر : G. Gomes, "Sobre agricultura arábigo-española, cuestiones bibliográficas", *Al-Qantara,* X, 1945, pp. 134-35. voir aussi, J. M. Vallicrosa, "Aportaciones para el estudio de la obra agronomica de Ibn Hayyay y de Abu-I-Jayr", *Al-Andalus,* XX, 1955, pp., 87-105.

ومؤخرا عمدت الباحثة خوليا ماريا كاراباصا الى اعادة نشر الكتاب في طبعة محققة مع الترجمة الاسبانية بمعهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، 1991 . ومن المعلوم ان محمد العربي الخطابي قد حقق كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات ، الذي ظل لفترة مجهول المؤلف ونشره منسوبا لأبي الخير الإشبيلي ، المصدر السابق . لمزيد من التفاصيل عن هذا المصنف ومؤلفاته راجع : J. M. Carabaza, "Un agronomo del siglo XI Abu-L-Jayr", in, *Ciencias de la naturaleza en al-Andalus,* I, Madrid, 1990, pp. 223-40 ; voir aussi, L. Bolens, "Al-Andalus et l'agronomie : Orient, Occident ou Andalousie", *Al-Qantara,* XI, 1990, fasc. 2, p. 372.

10- يوجد نص كتابه في الفلاحة المعروف بالمقنع مخطوطا في عدة نسخ : في المكتبة الحسنية بالرباط رقم 69 ، وضمن مجموع بالمكتبة العامة بالرباط رقم د 1410 ، وبالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان رقم 889/13 ، ومتناثرا ضمن عدد من المجامع المخطوطة . انظر على سبيل المثال : مخطوط المكتبة الحسنية رقم 271 وكذلك رقم 6342. مع ان هذه الائحة ليست شاملة . ولقد أقدم صلاح جرار بالإشتراك مع جاسر ابو صفية على نشره بالأردن عمان ، 1982 في نص ما زال يثير تحفظات بعض الدارسين ، راجع بهذا الخصوص :

J. M. Carabaza, "La edición jordana de al-Muqni de Ibn Hayyay problemas en torno a su autoria", *Al-Qantara,* XI, 1990, pp. 71-81.

11- المصدر السابق ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 1410 د ، ورقات1-89. انظر كذلك نص مخطوط المكتبة الحسنية ، الرباط ، رقم 271 ، صفحات ، 1-103.

ما يثير مرة أخرى مشكلة صحة انتساب النصوص الفلاحية لأصحابها ، ويدعو الى مراجعة توثيقية ، في إطار تحليل أكثر دقة وصرامة لكافة النصوص المنشورة [12].

ومن أشهر علماء الفلاحة الطليطليين نذكر ايضا ابن وافد ، الذي كان مشرفا على جنة السلطان المأمون بن ذي النون المخصصة للتجارب الفلاحية بالحاضرة [13] طليطلة. وبمملكة بني زيري بغرناطة الطائفية ، ذاع صيت محمد بن مالك الطغنري ، صاحب أحد أشهر المصنفات في علم الفلاحة بالغرب الإسلامي خلال القرن

12- نشر كتاب ابن بصال في الفلاحة من طرف محمد عزيمان بالإشتراك مع ميلاس فاليكروسا ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ، 1955 . كما نشرت قبل هذا التاريخ الترجمة الإسبانية لهذا النص من طرف :

J. M. Vallicrosa, Texto de la traducción castellana del tratado de agricultura de Ibn Bassal", *Al-Andalus*, XIII, Madrid, 1948.

عن مخطوط محمد عزيمان في الفلاحة راجع :

J. M. Vallicrosa, "Sobre bibliografía agronomica hispano-arabe", *Al-Andalus*, XIX, Madrid, 1954, pp. 129-42.

13- أنظر : Encyclopédie de l'Islam, Nlle. ed., T II, p. 922 وما زال النص العربي الأصلي لمصنفه في الفلاحة في حكم المفقود ، ولقد نشر ميلاس فاليكروسا الترجمة المتداولة لهذا النص اعتمادا على النسخة القشتالية المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم 106 10 ، وتعتبر في الأصل من ممتلكات الخزانة الكنسية بطليطلة. ويتضمن كتاب الفلاحة السالف الذكر الذي نشره التهامي الجعفري بفاس منسوبا الى ابي الخير الإشبيلي شذرات من كتاب ابن وافد ، راجع : G. Gomes, op. cit, pp. 127-46 ومنذ سنة 1954 اعلن ميلاس فاليكروسا عن عثوره ضمن مخطوط محمد عزيمان المجموع في الفلاحة عن النص العربي لكتاب ابن وافد ، كما أكد وجود نسخة أخرى من هذا الكتاب ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 5013 ، ورقات ، 1-56 ، راجع :

J. M. Vallicrosa, "La obra de agricultura de Ibn Wafid", in, *Tamuda*, año II, Tetuan, 1954, semestre II, pp. 87-95. voir aussi son article, "Nuevos textos manuscritos de Ibn Wafid", in, *Tamuda*, Ibid, pp. 339-44.

الخامس الهجري ، ويتعلق الأمربكتاب زهر البستان ونزهة الأذهان ، المحفوظ في عدة نصوص ونسخ مخطوطة وشذرات متناثرة [14] .

وتكشف متون المصنفات الفلاحية المطبوعة والمخطوطة ، وكذا كتب التراجم والطبقات عن غيرهم من المبرزين في هذا الحقل المعرفي . نخص منهم بالذكر أبا الحسن بن شهاب الإشبيلي الحكيم ، شيخ محمد بن مالك الطغنري السالف الذكر ، إذ على يديه تلقى أصول علم الفلاحة بإشبيلية سنة أربع وسبعين وأربعمائة [15] . كما نذكر ابن اللونقة الطليطلي [16] الذي بقي مترددا لمدة بين إشبيلية وغيرها من القواعد الطائفية ، بعدما خرج على غرار قرينه ابن بصال هاربا من طليطلة ، على إثر سقوطها في يد الفونسو السادس ، خلال هذه الفترة المضطربة من تاريخ الاندلس .

ومن خلال استقراء واسع في عدد من المصادر الأندلسية يتضح بأن حجم المفقود من هذا التراث الفلاحي أكثر بكثير مما هو متداول . ففي مجال النباتات والأعشاب ، وبالإضافة لما وضع من مصنفات في "الرياض والبساتين" [17]، يذكر ابن أبي أصيبعة [18] أن أبا عبيد الله البكري الجغرافي الأندلسي الشهير قد ألف كتابا فى "أعيان النبات والشجيرات الأندلسية" . كما عمد العشاب والنباتي الإشبيلي

14- من نصوص هذا الكتاب المخطوطة المعتمدة في هذا العمل : مخطوط المكتبة العامة الرباط ، رقم 1260 د ، وهو يطابق جزئيا شذرات من مخطوط ضمن مجموع المكتبة العامة الرباط في الفلاحة السالف الذكر ، رقم 1410د ، ورقات 98-112 ب . لمزيد من التفاصيل عن مخطوطات الكتاب انظر :

J. M. Vallicrosa, "Un nuevo manuscrito de la obra de al-Tagnari", in, *Tamuda*, año I, semestre I, Tetuan, 1953.

ولقد حظي هذا الكتاب مؤخرا بعناية الدراسة والتحقيق والترجمة من طرف اكسبراثيون غارثيا سانشيس من معهد الدراسات العربية بغرناطة ويوجد الآن تحت الطبع .

15- مجموع في الفلاحة ، رقم 1410 د ، المصدر السابق ، ورقة 170 أ .

16- ابو الخير الإشبيلي ، عمدة الطبيب . . . ، المصدر السابق ، ق 1 ,17.

17- انظر : الضبي ، المصدر السابق ، 91.

18- المصدر السابق ، 500.

أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل الأموي المعروف بابن الرومية إلى تصنيف "كتاب حسن كثير الفائدة في الحشائش ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم" [19]. ولقد اشتهر ابن الرومية هذا بكونه متمكنا من معرفة العشب و"الحشائش معرفة جيدة . . . وفاق أهل زمانه في معرفة النبات" [20].

ولا تقل أهمية أبي الحسن علي بن عبد الله الإشبيلي ، صاحب "شرح في كتاب دياسقوريدوس " [21]، إذ اشتهر بكثرة السفر والتجوال والتردد عبر مجموع بلاد المغرب للوقوف بعين المكان على "أعيان الكثير من النبات فيه" [22]. على غراره، ذاع صيت أبي جعفر أحمد بن محمد بن عمر اللخمي المالقي العشاب لاشتغاله بالنبات وتبريزه في المعرفة بأموره [23] . ومن أضخم المصنفات النباتية ، الموسوعة التي عمد أبو عبد الله بن معمر اللغوي المعروف بابن أخت غانم الى وضعها في" شرح كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري في ستين مجلدا" [24] .

ومن الملاحظ أن المصنفات الفلاحية والنباتية التي ألفت خلال عصر الطوائف والقرون السابقة شكلت - وإن بدرجات متفاوتة - المصادر المعتمدة لدى المتأخرين من أمثال ابن العوام الإشبيلي [25]، الذي لم يذخر وسعا في النقل عن مجموع علماء

19- المقري ، المصدر السابق ، ج 2، 596.

20- نفسه ، ج 2، 592. لمزيد من التفاصيل راجع : ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س 1 ، ق 2، 488.

21- ابن عبد الملك المراكشي ، نفسه ، 51 ، ق 1، 239.

22- نفس المصدر والصفحة .

23- نفسه ، س 1، ق 2، 476-77.

24- المقري ، المصدر السابق ، ج 3 ، 397 . وابن أخت غانم هذا الذي وردت ترجمته في عدد من المصنفات الأندلسية ، من أهل القرن الخامس وممن اشتغل في خدمة المعتصم بن صمادح صاحب المرية .

25- الذي حظي مصنفه في الفلاحة منذ فترة مبكرة بعناية النشر من طرف بانكيري الذي أخرجه في نص رديئ مليء بالأخطاء ، مدريد ، المطبعة الملكية ، 1802 . وهو من النصوص الفلاحية الأكثر شهرة وتداولا إذ ترجم الى اللغتين الفرنسية والإسبانية، ونشر على التوالي سنوات: 1864-67 ثم 1978 ، كما ترجم الى لغة الأورد ونشر تباعا سنوات 1926-31.

الفلاحة السالفي الذكر ، لا سيما ابن حجاج وأبي الخير وابن بصال والطغنري . ولم يكن ابن ليون التجيبي [26] أقل اعتمادا على سلفه من علماء الفلاحة الأندلسيين، وبالخصوص على كتابات ابن بصال والطغنري .

وبصرف النظر عما تراكم من معارف وأنجز من تجارب فلاحية بالأندلس منذ بدايات عصر الإمارة ، يبدو من خلال عدد من المؤشرات الدالة أن الثورة الحقيقية في ميدان الفلاحة قد انطلقت قبل القرن الخامس الهجري ، خلال عصر الخلافة . ولقد تحقق ذلك في ارتباط مع المنجزات الضخمة التي مست الهياكل والتقنيات والأدوات وأنظمة ووسائل الري الزراعية ، فاسحة المجال لتخصص إقليمي مثير للإنتباه في مجال الإنتاج والرفع [27]. ما كان للمعارف الفلاحية الوثيقة الارتباط بعلوم الطبيعة أن تتطور لولا تحرك همم "الناس الى طلب علوم" [28] الأوائل و"مطالعة كتب الفلاسفة" [29]. ومنذ هذا التاريخ "دخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم" [30] على نطاق واسع، وغدت في متناول جمهور عريض من طلاب العلم والحكمة، مما فسح المجال أمام الأندلسيين للتصنيف ليس فقط في علم الفلاحة والنبات، بل وكذا في الأنواء والأزمنة وفي كل ما يرتبط بعلوم الطبيعة. "ولم يزالوا يظهرون ظهورا غير شائع في قريب من المائة الرابعة" [31] إلى أن بلغوا بعدئذ ذروة العطاء والتألق في خلافة الحكم المستنصر .

26- صاحب الأرجوزة الفلاحية الشهيرة : " إبداء الملاحة وإنهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة " التي حظيت بعناية النشر من طرف خواكينا إكواراس إيبانييس، غرناطة ،1975. ولقد عثرت مؤخرا على نص فلاحي جديد وضعه نثرا ابن ليون التجيبي بعنوان "اختصارات كتاب الفلاحة" ، يدعو إلى الشك في صحة انتساب هذا الكتاب إليه. مخطوط المكتبة العامة الرباط، رقم د 2765، (ضمن مجموع)، صفحات 288-305. واعمل حاليا على تحقيق هذا النص وإعداده للنشر .

27- وهو ما تناولناه بتفصيل في دراستنا عن : عامة قرطبة في عصر الخلافة، الرباط، دار عكاظ، 1989، 79-105.

28- صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 159.

29- نفسه ، 197.

30- ابن جلجل ، المصدر السابق ، 98.

31- صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 159.

مع ذلك ، فلا مناص من الإقرار بأن المصنفات الشاهدة على عصر الذروة تمثل جزءا ضئيلا من المتداول ضمن المكتبة الفلاحية الأندلسية ، مما يضع عراقيل حقيقية أمام أية محاولة لرصد إسهامات هذا العصر الحضارية في مجال علم الفلاحة . من البديهي في ظل هذا الوضع التوثيقي أن ينفتح الباب على مصراعيه للخلط والتعميم، سواء عند التجرد للتأريخ لهذا الحقل المعرفي، أو عند تقدير الحجم الحقيقي للتراكم المعرفي الذي أنجز من طرف علماء العصر، خصوصا وأن الأمر يتعلق بمحاولة للوقوف على طبيعة التحول النوعي الذي تم خلال عصر الخلافة مقارنة مع التداعيات التي استمرت حية بعدئذ خلال القرن الخامس الهجري ، إن لم يكن طوال العصور اللاحقة .

فبغض النظرعن يومية قرطبة [32] لعريب بن سعد الذي تولى الكتابة للخليفة الحكم المستنصر، وترتيب أوقات الغراسة والمغارسة لمؤلف أندلسي مجهول [33] ، وكتاب ابن عاصم في الأنواء والأزمنة ومعرفة أعيان الكواكب [34]، ما زال معظم ما صنف خلال هذا العصر في ميدان الفلاحة خارج دائرة التداول أو في حكم المفقود .

فمن المعلوم أن كبير أطباء عصره أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوي قد وضع مختصرا في الفلاحة ، وبلغ اهتمامه بهذا المجال أن نعت من طرف بعض الدارسين [35] بكونه رائد المدرسة الفلاحية الأندلسية . ولعل في إقدام الزهري [36] على نعت الجغرافي والمؤرخ الأندلسي الشهير أبا بكر أحمد بن محمد بن موسى

32- التي نشرت بعناية ريهنهارت دوزي بليدن ، بريل ، 1873 وأعيد نشرها مع الترجمة الفرنسية التي وضعها للنص ش. بيلا ، ليدن ، بريل ، 1961.

33- الذي نشر من طرف آنخل لوبيس ضمن مطبوعات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، غرناطة ، 1990 . ويبدو أن صاحبه من أهل القرن الرابع الهجري .

34- منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، المانيا ، 1985 . لمزيد من التفاصيل عن هذا الصنف من التاليف بالأندلس ، انظر:

M. F. Nogues, "Miqat en los calendarios andalusiés", *Al-Qantara,* XI, fasc I, 1990, pp. 59-69.

-35 J. Vernet y `J. Samso, "Panorama de la ciencia", *op. cit*, p. 988.

36- الزهري ، كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد الحاج صادق ، مصر، المركز الاسلامي للطباعة ، بدون تاريخ ، 100 . ومن المعلوم أن احمد الرازي قد توفي سنة 344 للهجرة .

الرازي القرطبي بكونه "صاحب كتاب الفلاحة" ، ما يدل على تزايد الإهتمام لدى قطاعات واسعة من أهل القلم منذ بدايات عصر الخلافة بهذا الحقل المعرفي ، ينجلي ذلك بوضوح ليس فقط من خلال متن النص المترجم من كتابه في وصف الاندلس ، الذي ما زال أصله لحد الآن في حكم المفقود ، بل وكذلك من خلال الشذرات المتناثرة المنقولة منسوبة إليه في عدد من المصنفات الأندلسية المتأخرة .

ويبدو من خلال قراءة واسعة في الثروة الهائلة التي تقدمها المكتبة العربية الأندلسية ، انه بالإمكان إعادة تركيب جزء من مصنفات الرازي ، وذلك بتجميع فيض من النقول المتناثرة فيما لا يستهان به من المظان . في نفس السياق ، كشف أحد الباحثين [37] في مخطوط الكتاب المنسوب لأبي عبد الله محمد بن الحسين الموسوم بـ"المختار عن مستحسن الأشعار في وصف أيام الربيع وأنواره والروض وأزهاره من كلام أصحاب التواليف الطبية" ، عن اعتماد هذا المؤلف على النقل من كتاب لعبد الملك بن حبيب في الطب [38] زاخر بعدد من المعلومات الفلاحية .

وعلى غرار المصير الذي آلت اليه المصنفات الطبية كما سلف الذكر ، لا تعوز القرائن الدالة على تعرض كتب الفلاحة هي الأخرى للإتلاف في إطار الحملة العامرية ضد الذخائر المرتبطة بـ" العلوم القديمة" [39]. وليس أدل على صحة الإعتقاد بضياع معظم ما صنف في علم الفلاحة بالأندلس الى حدود نهاية عصر الخلافة ، من إقرار صاعد الأندلسي [40] بأن أوامر المنصور بن أبي عامر بالإحراق والإتلاف قد شملت سائر "علوم الأوائل ، حاش كتب الطب والحساب" . ولعل في استمرار التحفظ لدى الاندلسيين من أهل القرن الخامس الهجري - وإن في حدود - من الإعتماد على الحكماء والفلاسفة وعلماء الأوائل ، ما يؤكد عمق التأثير

-37 C. Alvaro de Morales, "Algo más sobre el Mss. árabe de la B. N. de Paris", *in, Ciencias de la naturaleza en al-Andalus*, T II, C. S. I. C., Madrid, 1992, pp. 135-53.

38- وعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة 238 هجرية هو صاحب كتاب مختصر في الطب السالف الذكر . ومن المفيد الانتباه الى دأب عدد من الأطباء على التصنيف في الفلاحة نذكر منهم على سبيل المثال الطبيب الجراح الشهير ابوخلف عباس الزهراوي .

39- صاعد الأندلسي ، المصدر السابق ، 163.

40- نفس المصدر والصفحة .

الذي مارسته الضربة العامرية على مجموع العلوم المرتبطة بالحكمة والفلسفة [41] .

ومن المعلوم أن جهود علماء الفلاحة بالأندلس قد انصبت بشكل ملحوظ على بعث المعارف القديمة ، واستخلاص آراء الحكماء والفلاسفة اليونان. وتزخر مصنفات ابن حجاج والطغنري وابن بصال وابن العوام وغيرهم، ليس فقط بالإحالات على علماء الفلاحة الأوائل ، بل وكذا باقتباسات من كتب الفلاسفة والمناطقة والحكماء من أمثال قسطوس صاحب كتاب الخزانة وأرسطو طاليس وديموقريطيس ودياسقوريدوس وغيرهم . ناهيك عن فيض من العبارات التي تفيد الإقتباس تعميما عن "الفلاسفة" و"الحكماء" و"الحكماء غير الفلاحين" و"القدماء" أو " المتقدمين" ، وغير ذلك من العبارات المتواترة في مختلف النصوص الفلاحية الأندلسية المطبوعة والمخطوطة [42]. ولا غرو، فلقد عمد ابن حجاج الى تقديم لائحة مفصلة بأسماء من اعتمدهم من علماء الفلاحة والحكماء القدامى والمسلمين [43].

ينطبق نفس الشيء على مختلف العلوم المرتبطة بالفلاحة ، بما في ذلك البيطرة وعلم الأنواء والأزمنة . يتضح ذلك من خلال قول أحدهم [44] في سياق تناوله

41- ولقد لاحظ أحد الدارسين أن علماء القرن الخامس الهجري المتخصصين في الفلاحة كابن وافد وابن بصال والطغنري كانوا أقل اعتمادا على المصادر الفلاحية القديمة بالقياس مع ابن العوام وغيره من المتأخرين ، موعزا ذلك الى درجة معرفة هؤلاء وأولئك باللغة اليونانية . ويبدو على عكس هذا التحليل أن استمرار مخاطر تربع متعصبي الفقهاء على السلطة الثقافية بالأندلس ابتداء من الإنقلاب العامري أقرب الى تفسير هذا المنزع .

42- انظر على سبيل المثال : مجموع في الفلاحة ، مخطوط رقم 1410 د ، ورقات 150 أ ، 158 ب ، 184 أ ، 187 أ وكذلك الطغنري ، المصدر السابق ، مخطوط رقم 1260 د ، ورقات 42 ، 47 ، 95.

43- وعددهم حسب مخطوط رقم 6642، ورقة 58 وكذا مخطوط رقم 69 ، ص 102 ، 20 علما ، بينما تثبت اللائحة التي قدمها ابن العوام نقلا عن ابن حجاج أسماء ثلاثين عالما، كتاب الفلاحة، المصدر السابق ،8.

44- مجموع في الفلاحة ، رقم 1410 د ، ورقة 184 أ .

لتربية المواشي : "وقد ذكرت جميع ذلك في كتابي في البيطرة وتقصيته في جميع الحيوان على ما وجدت الفلاسفة متفقين فيه ، ولم آل فيه الإجتهاد، ولا معنى لإعادة معنى واحد في كتابين" .

والجدير بالملاحظة انه بالإضافة لاهتمام علماء الفلاحة بهذا المجال عبر تخصيص الأبواب والفصول في مصنفاتهم لتربية المواشي وأمور البيطرة ، لم يذخر الأطباء وسعا في معالجة بعض جوانب الموضوع ، ليس فقط من خلال تناولهم لقضايا الأغذية المرتبطة بلحوم المواشي والطيور والأسماك وغيرها [45]، بل وكذلك في سياق تعرضهم لأمراض السائمة والدواب [46]. وتشكل المسائل المرتبطة بالمناخ وأحوال الطقس والرياح والإختلافات بين الفصول مجالا آخر للإهتمام المشترك بين الطب [47] والفلاحة [48].

لم تقتصر جهود علماء الفلاحة الأندلسيين النظرية على استخلاص آراء الفلاسفة والحكماء اليونان ، بل شملت كذلك مضامين "الفلاحة الرومية" [49] ، التي استمرت بصماتها حية ، ليس فقط في المعارف الفلاحية المتناقلة بالسماع بين عوام الفلاحين بحوض البحر الأبيض المتوسط، بل وكذلك ضمن عدد من

---

45 - انظر على سبيل المثال : الغافقي ، المصدر السابق ، 106-49.

46 - نفسه ، 415.

47 - فالطبيب الشهير ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي على سبيل المثال قد خصص حيزا من كتابه "التصريف" لدراسة "فصول السنة الأربعة" و "أقسام الرياح" ، انظر المصدر السابق. ومن ابرز المصنفات الطبية الوثيقة الإرتباط بالجغرافيا المناخية كتاب ابى عبد الله الصنهاجي "المنافع البينة وما يصلح بالأربعة الأزمنة " ، المصدر السابق ، وكذا كتاب محمد بن عبد الله بن الخطيب ، "الوصول لحفظ الصحة في الفصول" ، المصدر السابق .

48 - انظر على سبيل المثال : مجموع في الفلاحة، المصدر السابق، 101-104 ب و 134 و181أ – 183 ب .

49- انظر : الطغنري ، المصدر السابق ، 34، 43، 44. لمزيد من التفاصيل عن الفلاحة الرومية والترجمات العربية لهذه النصوص الفلاحية راجع : T. Fahd, "Traductions...", *op. cit*, p. 13

المصنفات الفلاحية. ينطبق نفس الشيء على الفلاحة الهندية [50]، التي شكلت مناهل إضافية لم يغفل علماء الفلاحة بالاندلس الاستفادة منها . وتزخر المصادر المعتمدة باحالات متعددة على المعارف الفلاحية المقتبسة عن اصول نبطية [51] وفارسية [52]، في تكامل وتفاعل بين جناحي دار الاسلام. ولا تعوز القرائن الكاشفة عن استمرار التعلق بالاصول عبر استلهام التجارب القديمة والمعارف الفلاحية الموروثة عن" العرب القدامى " [53]، في الجاهلية والإسلام. أما بخصوص مصنفات المشارقة المعتمدة في التصنيف الفلاحي بالاندلس، فمن المفيد اثبات اسماء ثلة من المشاهير أمثال ثابت بن قرة [54] وإسحاق بن سليمان [55] وابن ماسويه [56] ، المتواتر ذكرها في سياق جملة من الاقتباسات. بصرف النظر عما وضعه ابو حنيفة الدينوري [57] والطبري [58]. ومن ضمن المصادر المشرقية التي اثارت اهتمام

---

50 - انظر : نفسه ،29 ،51 وكذلك مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق المخطوط ، رقم 1410د، 117 أ. ولمزيد من التفاصيل عن دأب الأندلسيين على الإعتماد على حكماء الهند بهذا الخصوص انظر: مجهول ، كتاب الفلاحة ، مخطوط المكتبة العامة ، تطوان ، رقم 889/13 ,72.

51- انظر : مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 116 ب ، 117 أ ،150 ب وكذلك الطغنري ، المصدر السابق ، 29 ، 42، 43 ، 46 . ويعتبر كتاب الفلاحة النبطية الذي ترجم من السريانية الى العربية خلال القرن العاشر الميلادي ، على ما يبدو ، حلقة وصل بين المعارف القديمة والوسيطة في ميدان الفلاحة . ومن المعلوم أن النص الكامل لكتاب الفلاحة النبطية هذا المترجم من طرف ابن وحشية قد نشر مصورا عن مخطوط أحمد الثالث في خمس مجلدات ، مطبعة كليت ، شتوتغارت ، 1984.

52- الطغنري ، المصدر السابق ، 56 وكذلك مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 107 أ.

53- انظر : مجموع في الفلاحة ، نفسه ، 115 أ .

54- مخطوط المكتبة الحسنية ، رقم 69 ، 102 ومخطوط المكتبة الحسنية ، رقم 6342، 58.

55- نفس المصدرين والصفحات .

56- الطغنري ، المصدر السابق ،220.

57- ابن العوام ، المصدر السابق ، 39 وكذلك مخطوط المكتبة الحسنية ، رقم 69 ، 102.

58- الطغنري ، المصدر السابق ، 134.

الأندلسيين نذكر كتابي "الخواص لجابر" [59] والرازي [60]، ومؤلفات "موسى بن نصر" [61]، بالإضافة إلى شرح ابي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي لكتاب في فوائد المياه [62] ، وغير ذلك من المصنفات التي لا مجال لحصرها في هذا المقام [63] .

ومن خلال تحليل أولي لما تبقى من النصوص الفلاحية والنباتية الأندلسية يتضح أن المجهود العلمي قد انصب خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري على بعث واستيعاب المعارف القديمة ، مع التفاني في جعلها عبر الإقراء والتعليم في متناول السواد الأعظم من الفلاحين بمجموع البلاد. أسفر ذلك عن بلورة معالم مدرسة فلاحية أندلسية ، لم يتوان علماء العصر اللاحق المختصين بهذا الميدان على نعتها بمدرسة "اصحاب التقليد من أهل الفلاحة" [64] .

ونظرا لارتباطها الوثيق بالحكمة والهندسة والفلك والتنجيم وعلوم الطبيعة، لم تسلم من انتقادات أهل القرن الخامس الهجري ، إذ اعتبروا أقوال وآراء الرواد ، رغم التسليم بمحاسنهم ، " قول من لم يجرب ولا تكلم إلا بهواه" [65]. لا غرابة في ذلك ، ما دام جل اهتمامهم قد انصب على إشاعة المعرفة والنظر، فاستحين المجال

59- نفسه ، 55.

60- نفس المصدر والصفحة . ولقد ذكره ابن العوام كذلك من ضمن مصادره ، المصدر السابق، 37. ومن المعلوم أن ابا بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب الفيلسوف ممن يعتمد على الحكيمين أبقراط وجالينوس المبرزين في علم الفلاحة ، انظر : ابن جلجل ، المصدر السابق ، 77 وكذلك ابن النديم ، الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1978، 504.

61- مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 147 أ .

62- مخطوط المكتبة الحسنية ، رقم 69 ، 3.

63- راجع لمزيد من المعلومات بهذا الخصوص : مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 144 أ ، 155 أ وكذلك الطغنري ، المصدر السابق ، 134 ومخطوط المكتبة العامة ، تطوان ، رقم ,71. 71, 889/13.

64- الطغنري ، المصدر السابق ، 118.

65- نفس المصدر والصفحة .

لأمناء الفلاحين وعرفائهم لوضعها موضع الإختبار والتجريب، في اطار تقسيم متميز للعمل، بين ما هو ذهني نظري، وما هو يدوي عملي. كما هو الشأن، ليس فقط بالنسبة للطب، حسبما تجلى في التحليل السابق، بل وكذلك في ميدان البناء والعمران. ونتيجة لتكاثف جهود الطرفين في تكامل تام، سرعان ما تراكمت النتائج والملاحظات والخلاصات، مقدمة أرضية ميدانية خصبة ليس فقط للتدقيق في الموروث المعرفي القديم، بل وكذلك لتجاوز مكامن النقص فيه. بذلك انفتحت الأبواب على المصراعين للإبتكار والتجديد، كما تفصح عن ذلك مختلف القرائن الدالة على عمق التحول التقني وشمولية التطور الفلاحي لمجموع البلاد طوال عصر الخلافة.

ونتوفر على فيض من المعلومات عن دور حكماء الفلاحين [66] المشتغلين بالتلقين وبـ "التأليف في الفلاحة" [67]، ممن اهتموا بوضع آراء الفلاسفة و "الحكماء غير الفلاحين" [68]، وكذا آراء من دونهم من علماء "الفلاحين ممن لم يجرب الغراسة ولا دبرها" [69]، في خدمة المشرفين مباشرة على العمل في هذا الميدان. وإحكاما للفصل بين المستويين النظري والتطبيقي، اعتبرت هذه النخبة بمثابة "القدوة ومن سواهم ليس بأسوة" [70]. في حين اقتصر دور الأكارين من عامة الفلاحين والمزارعين والمناصفين المصنفين عادة ضمن "الضعفاء من أهل الفلاحة" [71]، على الممارسة العملية ووضع "آراء أجلة الحكماء" [72] بواسطة "الخدمة" [73] موضع التطبيق.

66- مجموع في الفلاحة، المصدر السابق، 107 أ.

67- الطغنري، المصدر السابق، 169.

68- مجموع في الفلاحة، المصدر السابق، 187 أ.

69- الطغنري، المصدر السابق، 108.

70- ابن العوام، المصدر السابق، 2.

71- مجموع في الفلاحة، المصدر السابق، 13 ب.

72- ابن العوام، المصدر السابق، 2. انظر كذلك مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم13/889, 77.

73- ابن العوام، نفس المصدر والصفحة. مخطوط المكتبة العامة تطوان، نفس المصدر والصفحة.

وفي إطار شيوع نظرة الإحتقار تجاه العامة ، لم يتورع أهل القلم على نعت هذه الفئات الدنيا بكونهم من "جهلة الفلاحين" (74)، وممن " لا علم عندهم ولا ملوح لرأيهم على طول ممارستهم بهذه الصنعة" (75) . ولم يتردد البعض إمعانا في إذلالهم عن التحذير من "أقوالهم الساقطة" (76) ، باعتبارهم من "أهل الغباوة والعتاة" (77). أما الأمناء (78) والعرفاء (79) ومقدمو الفلاحين (80)، فقد اختصوا بالإشراف على الممارسة وسير العمل وتقويم النتائج ، رابطين بذلك الصلة بين أهل النظر من الحكماء وما دونهم من العلماء ، وبين عامة أهل الخدمة من سفلة الفلاحين والدناة . ونظرا لخطورة دور هذا الصنف الأوسط ، عادة ما اشترط في تنصيب المرء منهم أن يكون " فطنا ذكيا ، يقظا قائما بأصول الصنعة ، عارفا بأسبابها واقفا على غرائبها ، مميزا بعناصرها ومجرباتها ، محيطا بمعرفة عللها" (81)، ومتى استعصت على أحدهم مسألة فما عليه إلا أن يستشير أهل المعرفة" (82).

بالموازاة مع فك ارتباط علم الفلاحة والنبات بالحكمة وعلوم الأوائل على إثر الضربة العامرية، وبرغم الاستمرار النسبي للتفاعل بين الحقلين خلال عصر الطوائف، تعمق الطابع التجريبي الميداني بشكل ملحوظ لدى المهتمين بهذا القطاع

74- ابن العوام ، نفس المصدر والصفحة ؛ الطغنري ، المصدر السابق ، 87.

75- ابن العوام ، نفس المصدر والصفحة ؛ مخطوط المكتبة العامة تطوان، رقم 13/889 ,7.

76- ابن العوام ، نفس المصدر والصفحة ؛ مخطوط المكتبة العامة، تطوان، نفس المصدر ، 77.

77- نفس المصدر والورقة .

78- نفسه ، 5.

79- الطغنري ، المصدر السابق ، 153.

80- مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 131 أ ؛ أبو الخير الإشبيلي، كتاب الفلاحة ، المصدر السابق ، 144.

81- ابو الخير ، نفس المصدر والصفحة .

82- مخطوط المكتبة العامة ، تطوان ، المصدر السابق ، رقم69 ,7.

طوال القرن الخامس الهجري. وتزخر مصنفات ابن بصال وابن حجاج [83] والطغنري [84] وأبي الخير وغيرهم بالنتائج الدقيقة التي حصلوا عليها معاينة . ومن المعلوم أن بعضهم لم يذخر جهدا في التجوال بمختلف كور وأقاليم الأندلس وبـ"كثير من بلدان المغرب" [85]، منهم من بلغت رحلاته العلمية الى دمشق [86] وحلب [87] ، مرورا "بديار مصر" [88] وبغيرها من القواعد "في أرض الشام" [89] . ولم يتردد البعض الاخر عن دخول القسطنطينية [90] وصقلية [91] وغيرها من البلاد للوقوف على "أعيان الكثير من النبات" [92]، ومعاينة المحاصيل، والتحقق من التجارب الفلاحية .

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل كثيرا ما لجأ الرحالة من أهل الفلاحة الى مشافهة نظرائهم واستفسارهم حول عدد من القضايا العالقة ، كما فعل محمد بن مالك الطغنري "بمدينة حمص بمحضر جماعة (إذ سألهم) عن أشياء" [93]. ولم يتردد البعض عن اللجوء الى "بعض الأكارين" [94] و"ساقة أهل المعرفة

83- راجع ، ابن العوام ، المصدر السابق ، 230.

84- المصدر السابق ، 208 ، 214 ، 216-17 ، 226.

85- ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س5، ق 1 ، 239.

86- الطغنري ، المصدر السابق ، 208 ، 226.

87- نفسه ، 214.

88- نفسه ، 217.

89- نفس المصدر والصفحة .

90- مخطوط المكتبة الحسنية ، رقم 6342، 47.

91- ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، س 5، ق 1 ، 239.

92- نفس المصدر والصفحة .

93- الطغنري ، المصدر السابق ، 118.

94- نفسه ، 234.

بالفلاحة " [95] من عوام البوادي للإستفادة من معارفهم وتجاربهم ، بل وكذا الى " السراجين " [96] وغيرهم من السوقة وعامة المدن ممن يرجى الإنتفاع منه .

وعلى غرار الأطباء الممارسين بأيديهم ، لم يعد علماء الفلاحة في ظل هذه التحولات يجدون غضاضة في ممارسة "الحفر" [97] والغرس [98] والنقل [99] والقلع [100] والتنقية [101] والتركيب [102] وغير ذلك من العمليات والتجارب الفلاحية [103] بأيديهم، كاشفين بذلك عن إيثارهم للتجريب باعتباره "البرهان القاطع الذي لا شك فيه" [104] . ولم يذخروا وسعا في انتقاد من يعتمد النظر ويعول على الحكمة والحكماء ، مبينين قصور من يركن الى التقليد و"يقول هكذا أدركت من مضى " [105]، كاشفين عن ضعف آرائهم "ولّه عليهم ذلك قلة التجربة" [106] . ومغالاة في الدعوة لنبذ النظر واعتماد التجريب، لم يتردد أحدهم عن الإقرار: لا اثبت شيئا من رأي إلا ما جربته مرارا فصح" [107] . على غراره أصر بعضهم في

95- نفسه ، 145.

96- نفسه ، 231.

97- ابن العوام ، المصدر السابق ، 242.

98- نفسه ، 230 ؛ الطغنري ، المصدر السابق ، 75.

99- نفسه ، 96-100.

100- نفس المصدر والصفحات .

101- مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 114 أ .

102- نفسه ، 122 أ .

103- نفسه ، 94 أ ، 144 أ ؛ الطغنري ، المصدر السابق ، 169 .

104- الطغنري ، المصدر السابق ، 108 .

105- نفس المصدر والصفحة .

106- نفسه ، 122.

107- ابن العوام ، المصدر السابق ، 10.

سياق تناوله لتقنيات التركيب على القول : لا أثبت منها إلا "بمقدار ما انتهت اليه طاقتنا وبلغه تجريبنا" [108].

حقيقة ان هذا التحول قد أسفر عن انفساح المجال لتصحيح الكثير مما "اتفق عليه القدماء" [109] من آراء ونظريات في علم الفلاحة ، وإسقاط بعض تصورات "اهل المعرفة بالفلاحة" [110] ، وبيان عدد من مفاسد وظنون [111] وأغلاط الفلاحين، والوقوف عن كثب "على تزوير أقوالهم" [112]. وسرعان ما " آل الإجتهاد" [113] الذي رفع رايته علماء القرن الخامس الهجري إلى ابتكار واستنباط تقنيات وطرق فلاحية جديدة ، وإجراء التجارب على زراريع وثمار كانت الى حدود هذا القرن مجهولة بالأندلس [114].

مع ذلك ، فالجدير بالملاحظة انه بالموازاة مع رسوخ الطابع التجريبي في المعرفة والممارسة الفلاحية ، تقلصت دائرة الإستفادة لتغدو قاصرة على الضياع والبساتين السلطانية وأصبحت المعارف العلمية حكرا على قطاع أرستقراطي محدود ، متفان للتمايز كما وكيفا، إن لم يكن رونقا وجمالا ، عن القطاع الفلاحي لدى عوام أهل الأندلس . ولا تعوز الدلائل الكاشفة عن تراجع المعرفة الفلاحية العالمة الى درجة التخلي عن خدمة عامة الفلاحين ، الذين ركنوا اضطرارا الى تجاربهم المحلية والى التقليد واستلهام الإرث الشفوي ، الذي سرعان ما آل الى الإرتباط على غرار الطب العامي بمعتقدات لا تخلو من الخرافات والشعوذة . من الطبيعي أن يثير هذا التحول

108- مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 122 ب .

109- الطغنري ، المصدر السابق ، 169.

110- نفسه ، 145.

111- نفسه ، 156, 163.

112- نفسه ، 145.

113- مجموع في الفلاحة ، المصدر السابق ، 184 أ .

114- نفسه ، 92 أ .

انتقاد وسخرية علماء العصر الذين لم يتوقفوا عن قذف عوام الفلاحين بمختلف النعوت الذليلة .

من شأن القراءة الفاحصة في مجموع التراث الفلاحي المتاح وفيما تقدمه بقية المظان من مادة فلاحية [115] ، الكشف عن مدى قصور البحث التاريخي المعاصر عن استغلال هذه المادة الثرية ، واستخدامها مفتاحا لولوج بعض تفاصيل حياة الفلاحين بالبادية الأندلسية سواء تعلق الامر بالبنيات والهياكل الزراعية، أو فيما يرجع للمحاصيل والأنشطة الفلاحية وللأدوات والوسائل التقنية . ولعل في إخضاع متون كتب الفلاحة للدرس والتقويم ما يمكن الباحث في التاريخ الإجتماعي والإقتصادي من وضع الحلقة الأندلسية في مكانها ضمن السياق العام للعطاء الحضاري بالغرب الاسلامي. أما وأن البحث ما زال دون القدرة على ضبط انتساب المتداول من النصوص الفلاحية لأصحابها [116]، فبالأحرى استكناه مصادرها المعرفية وضبط مجالات النقل والتقليد، ومكامن الإبتكار والتجديد فيها ، يبدو من التسرع الاقرار بحدوث ثورة فلاحية بأندلس الطوائف، اعتمادا على قراءة نظرية في محتويات عينة من مصنفات العصر، لا تراعي حقائق الواقع العياني، ولا تأبه بأهمية تأصيل حلقات العطاء الفكري في ارتباطها بالعمق التاريخي .

تم بحمد الله

115- تقدم كتب الأغذية والأشربة وكذلك بعض المصنفات الطبية تفاصيل هامة بخصوص عدد من النباتات والمحاصيل الفلاحية وكذلك فيما يتعلق بتربية الماشية والدواجن وغير ذلك مما له علاقة وطيدة بالنشاط الفلاحي .

116- كما سلف الذكر بخصوص النص المنشور المنسوب لأبي الخير الإشبيلي وكذا الطبعة الأردنية لمصنف ابن حجاج. ولا يستبعد نفس الشيء بالنسبة للمصنف المنسوب لابن بصال. ومن الملاحظ أن معظم النصوص المخطوطة توجد ضمن مجاميع أو شذرات متناثرة منقولة من كتب مختلفة. ونظرا للطابع التقني لجزء هام من المعلومات التي تتضمنها، عادة ما لا يأبه النساخ والنقلة، بل وحتى المصنفون عن ضبط مصادر منقولاتهم، مما ساهم في الخلط والغموض. وفي تقديري أن الوقت قد حان لإجراء قراءة متأنية وتحليل مدقق في مجموع النصوص المتاحة المطبوعة والمخطوطة عسى أن نتمكن من ضبط مختلف الشذرات في انتسابها لأصحابها .

قائمة المصادر والمراجع

أولا :
المصادر المخطوطة

- **ابن بختيشوع** ، عبيد الله بن جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع المتطبب ،

1 - كتاب الروضة الطبية في المسائل الخلافية، مخطوط مكتبة الأسكوريال، رقم 889، (ضمن مجموع) .

- **ابن الحاج** ، ابو عبد الله بن الحاج الشهيد ،

2 - النوازل ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم ج 55 .

- **ابن الجزار القروي** ، أحمد بن ابراهيم المتطبب ،

3 - كتاب علاج الفقراء والمساكين بالأدوية ، مخطوط الاسكوريال ، رقم 857 .

- **ابن الخطيب** ، محمد بن عبد الله بن الخطيب ،

4 - كتاب الوصول الى حفظ الصحة في الفصول، مخطوط الأسكوريال، رقم 77.

- **ابن رحال** ، ابو علي الحسن المعداني ،

5 - تضمين الصناع ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 2198 د .

- **ابن زهر** ، ابو العلاء بن زهر الأيادي ،

6 - كتاب المجربات في الطب ، مخطوط الأسكوريال ، رقم 844 .

- **ابن زهر** ، ابو مروان عبد الملك بن زهرالوزير ،

7 - كتاب الإقتصاد في الزينة في إصلاح الأنفس والأجساد، مخطوط الأسكوريال ، رقم 834 (النص بالرسم العبري) .

- **ابن سهل** ، ابو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي ،

8 - كتاب الأحكام الكبرى ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 838 ق وكذا النسخة الثانية رقم 1728 د .

- **ابن السيد البطليوسي** ، محمد بن عبد الله بن محمد ،

9 - كتاب المسائل والأجوبة ، مخطوط الأسكوريال ، رقم 1518 .

• **ابن سينا** ، ابو علي الحسين بن عبد الله ،

10 -حدود الأشياء ، مخطوط مكتبة الأسكوريال ، رقم 844 (ضمن مجموع) .

• **ابن كمال باشا** ،

11 - رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية ، مخطوط المكتبة العامة، تطوان ، رقم 94 .

• **ابن المناصف** ، أبو عبد الله بن عيسى بن محمد بن أصبغ المناصفي ،

12 - أرجوزتان في الطب ، مخطوط المكتبة الحسنية ، الرباط ، رقم 25 .

• **ابو الفرج** ، عبد الله بن الطيب الفيلسوف ،

13 - كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية ، مخطوط الأسكوريال ، رقم 888 .

• **ابو الوليد الأزدي** ، هشام بن عبد الله ،

14 - مفيد الحكام فيما يرد لهم من نوازل الأحكام، مخطوط المكتبة الوطنية، باريس ، رقم 1074 .

• **ابو الوليد الباجي** ، سليمان بن خلف القاضي ،

15 - كتاب بيان حدود الألفاظ الدائرة بين المتناظرين ، مخطوط المكتبة العامة ، تطوان ، رقم 353 (ضمن مجموع) .

16 - رسالة في بيان مصطلحات الفقه والأصول، مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 353 (ضمن مجموع) .

• **البغدادي** ، ابو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد ،

17 - مقالة في الحواس ، مخطوط الأسكوريال ، رقم 889 (ضمن مجموع) .

• **الجزيري** ، ابو الحسن علي بن يحيى بن القاسم ،

18 - المقصد المحمود في تلخيص العقود ، مخطوط المكتبة العامة ، الرباط ، رقم 592 ق

• **الخصيبي المنجم** ،

19 - كتاب المواليد ، مخطوط الأسكوريال ، رقم 940 .

• **الرندي** ، محمد بن ابراهيم ،

20 - كتاب الأغذية، مخطوط المكتبة الحسنية، الرباط، رقم 77 والنسخة الثانية رقم 85.

• **الزهراوي**، ابو القاسم خلف بن عباس،

21 - فصول من كتاب التصريف، مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 826 (ضمن مجموع).

• **السمرقندي**، نجيب،

22 - كتاب الأغذية والأشربة، مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 257 (ضمن مجموع)

• **الصنهاجي**، ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن،

23 - كتاب المنافع البينة وما يصلح بالأربعة الأزمنة، مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 826، (ضمن مجموع).

• **الصنوبري**، جمال الدين محمد بن المهدي،

24 - كتاب الرحمة في الطب والحكمة، مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 592 (ضمن مجموع).

• **الطغنري**، محمد بن مالك،

25 - كتاب زهر البستان ونزهة الأذهان، مخطوط المكتبة العامة، الرباط، رقم 1260 د

• **العبدي**، محمد بن أحمد،

26 - تاريخ الطب العربي بالمغرب، مخطوط خاص في ملك العلامة محمد المنوني وبخط يده.

• **الغساني**، العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول،

27 - كتاب نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء، مخطوط الأسكوريال، رقم 245 (ضمن مجموع).

• **الفشتالي**، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك،

28 - تذكرة الحكام في علم الوثائق، مخطوط الأسكوريال، رقم 1163.

• **الفهري**، ابو محمد عبد الله بن عبد الواحد،

29 - كتاب الوثائق والمسائل المجموعة، مخطوط مكتبة معهد الدراسات العربية،

المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، رقم IX .

• **اللمودي**، ابو زكريا يحيى بن محمد ،

30 - كتاب تحقيق المباحث الطبية في تدقيق المسائل الخلافية، مخطوط مكتبة الأسكوريال ، رقم 892.

◆ **مجاميع ونصوص طبية وفلاحية :**

32 - كتاب طب العجم، مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 592 (ضمن مجموع).

33 - شذرات طبية نقلت من كتب الحكماء الأطباء، مخطوط المكتبة الوطنية ، باريس، رقم 178 .

34 - المفردات الطبية، مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 126 (ضمن مجموع).

35 - رسالة في أحكام الغرس، مخطوط المكتبة العامة، تطوان ، رقم 297 (ضمن مجموع).

36 - كتاب مجموع في علم الفلاحة، مخطوط المكتبة العامة، الرباط، رقم 1410د .

37 - كتاب في علم الفلاحة، مخطوط المكتبة العامة، تطوان، رقم 889/13 .

38 - كتاب في علم الفلاحة ، مخطوط المكتبة الحسنية ، الرباط ، رقم 271.

39 - كتاب في علم الفلاحة ، مخطوط المكتبة الحسنية ، الرباط ، رقم 6342 .

40 - كتاب في علم الفلاحة ، مخطوط المكتبة الحسنية ، الرباط ، رقم 69 .

ثانيا :
المصادر المطبوعة

• **ابن أبي أصيبعة**، ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت 668) .

41 - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت 1965 .

• **ابن أبي الصلت الداني**، أمية بن عبد العزيز (ت 529) .

42 - كتاب تقويم الذهن ، المطبعة الإبيرقة ، مجريط ، 1915 .

• **ابن بختيشوع**، ابو سعيد عبيد الله بن جبريل بن عبيد الله بن جبريل (ت 450) .

43 - رسالة في الطب والأحداث النفسانية، تحقيق فليكس كلاين فرانكه، دار المشرق، بيروت ، 1977 .

• **ابن بسام الشنتريني**، ابو الحسن علي (ت 542) .

44 - كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، تونس/ ليبيا ، 1981 .

• **ابن بصال**، ابو عبيد الله محمد بن ابراهيم الطليطلي (ت 499) .

45 - كتاب الفلاحة ، نشر خوصي ماريا ميلاس فاليكروسا/ محمد عزيمان ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ، 1955 .

• **ابن جلجل** ، ابو داوود سليمان بن حسان الأندلسي (ت 377) .

46 - طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1985 .

• **ابن الجوزي** ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت 597) ،

47 - كتاب تقويم اللسان ، تحقيق عبد العزيز مطر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1983 .

• **ابن حبيب** ، عبد الملك (238) ،

48 - مختصرفي الطب ، تقديم وترجمة وتحقيق ،كاميليو آلباريث دي موراليس / فيرناندو خيرون ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1992 .

• **ابن حزم** ، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت 456) ،

49 - الرسائل ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1980 .

50 - الإحكام في أصول الأحكام ، تقديم إحسان عباس ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983 .

• **ابن حيان** ، ابو مروان حيان بن خلف (ت 469) ،

51 - كتاب المقتبس في أخبار الأندلس ، نشر عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت 1965 .

52 - كتاب المقتبس في اخبار الأندلس، نشرشالميتا/ كورينطي/ صبح ، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد 1979.

• **ابن الخراط الإشبيلي** (ت 581)/ **ابو محمد الرشاطي** (ت 542)،

53 - الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا / بوش فيلا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1990 .

• **ابن الخطيب**، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني (ت 776)،

54 - الإحاطة في أخبار غرناطة، نصوص جديدة، تحقيق عبد السلام شقور، طنجة ، 1988 .

• **ابن خاقان**، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت529)،

55 - قلائد العقيان، القاهرة، طبعة 1284 هجرية .

• **ابن خير**، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاموي الإشبيلي(575)،

56 - الفهرست، تحقيق فرانسيسكو كوديرا وخوليان ريبيرا، مؤسسة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1963 .

• **ابن رشد**، ابو الوليد محمد بن أحمد المالكي (ت 595)،

57 - الفتاوى، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1987 .

• **ابن رضوان**، ابو القاسم بن رضوان المالكي (ت 460)،

58 - كتاب دفع مضار الأبدان، تقديم وترجمة وتحقيق، ميخائيل دولس، منشورات باركلي، جامعة كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الامريكية ،1984.

• **ابن زهر**، أبو العلاء بن زهر الأيادي (ت 525)،

59 - كتاب المجربات، تقديم وترجمة وتحقيق كريستينا آلباريث، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1995 .

• **ابن زهر**، ابو مروان عبد الملك (ت 557)،

60 - كتاب الأغذية، تقديم وترجمة وتحقيق، إكسبراثيون غارسيا سانشيس، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1992.

61 - كتاب التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق ميشيل الخوري، دمشق، 1983.

• **ابن سعيد**، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت 673)،

62 - المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1978 .

• **ابن سيدة**، ابو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت 458) ،

63 - كتاب المخصص، تحقيق لجنة التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ .

• **ابن عبد الملك المراكشي**، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703)،

64 - كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الرابع والخامس والسادس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، 1973 .

• **ابن عبدون**، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي(من اهل القرن 6) ،

65 - كتاب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال ، Journal Asiatique ,1934.

• **ابن عذاري**، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (كان حيا اوائل القرن 8)،

66 - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان/ بروفنسال ، بيروت 1980.

• **ابن العطار**، محمد بن أحمد الأموي (ت 399)،

67 - كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق شالميتا / كورينطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، 1973.

• **ابن العوام**، أبو زكريا يحيى بن محمد الإشبيلي (من أهل القرن 6)،

68 - كتاب الفلاحة ، تحقيق بانكيري ، المطبعة الملكية ، مدريد ، 1802.

• **ابن الفرضي**، عبد الله بن محمد بن يوسف (ت 304)،

69 - تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966 .

• **ابن قتيبة** ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276)،

70 - أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1982 .

• **ابن القوطية**، ابو بكر محمد بن عمر ، (ت 367)،

71 - تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، 1982.

• **ابن ليون**، ابو عثمان سعد بن ابي جعفر احمد بن ابراهيم بن ليون التجيبي (ت 750)،

72 - إبداء الملاحة وإنهاء الرجاحة في اصول صناعة الفلاحة، نشر خواكينا إكواراس إبانييس، غرناطة 1975 .

• **ابن النديم**، محمد بن اسحاق (ت 385)،

73 - الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، 1978 .

• **ابن وحشية**، ابو بكر بن وحشية ،

74 - كتاب الفلاحة النبطية، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، مطبعة كليت ، ستوتغارت ، 1989 .

• **أبو الخير الإشبيلي**، (كان حيا اوائل القرن 6)

75 - عمدة الطبيب في معرفة النبات، تقديم وتحقيق محمد العربي الخطابي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 1990 .

76 - كتاب الفلاحة، نشر التهامي الناصري الجعفري ، فاس 1357 هجرية .

77 - كتاب الفلاحة، نشر خوليا كرباصا برافو، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1991.

• **أبو الوليد الباجي**، سليمان بن خلف الأندلسي (ت 474)،

78 - إحكام الفصول في أحكام الأصول ، تحقيق عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 .

79 - وصيته لولديه، تحقيق جودة عبد الرحمن، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، العدد 3، المجلد الأول ، مدريد ، 1955 .

80- فصول الأحكام، تحقيق محمد ابو الأجفان، الدار العربية للكتاب، 1985.

• **البكري**، ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487)،

81 - المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر دي سلان، باريس، 1965.

• **الجواليقي**، ابو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت 540)،

82 - المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح ابو الأشبال احمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1361 هجرية .

• **الحريري**، ابو محمد عبد الله بن قاسم بن محمد بن خلف اللخمي الإشبيلي (ت 646)،

83 - نهاية الأفكار ونزهة الأبصار، تحقيق حازم البكري/ مصطفى العاني، دار الرشيد للنشر، العراق، القسم الأول، 1979؛ القسم الثاني، 1980 .

• **الحميدي**، ابو عبد الله محمد ابن ابي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الأزدي الأندلسي الميورقي الحافظ (ت 488)،

84 - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966 .

• **الحميري**، محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 900)،

85 - الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

• **الزبيدي**، ابو بكر محمد بن الحسن الأندلسي، (ت 399)،

86 - كتاب لحن العامة، تحقيق عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، 1981.

• **الشيرازي**، ابو اسحاق ابراهيم (ت 476)،

87 - كتاب شرح اللمع، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، 1988.

• **صاعد الأندلسي**، ابو القاسم صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد (ت 462)،

88 - طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بولعوان، دار الطليعة، بيروت 1985 .

• **الضبي**، احمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599)،

89 - بغية الملتمس، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1967 .

• **الطرطوشي**، ابو بكر محمد بن الوليد،

90 - سراج الملوك، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1319 هجرية .

• **العماد الأصفهاني**، ابو عبد الله عماد الدين محمد الكاتب (ت 597)،

91 - خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق آذرتاش آذرنوش، تنقيح محمد العروسي المطوي/ محمد المرزوقي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1986.

• **عريب بن سعد**، ابو الحسن ،

92- يومية قرطبة ، نشر دوزي ، بريل ، ليدن ، 1961.

• **الغافقي**، محمد بن قسوم بن أسلم (ق 8)،

93 - المرشد في طب العيون، تحقيق حسن علي حسن، معهد الإنماء العربي، بيروت ، 1987.

• **القشيري**، ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري الشافعي (ت 465)،

94 - الرسالة القشيرية، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، 1940.

• **القاضي عبد الجبار**، ابو الحسن عبد الجبار بن احمد الهمذاني الاسدآبادي (ت 415)،

95 - المغني في ابواب التوحيد والعدل، تحقيق مصطفى السقا / مراجعة ابراهيم مذكور، المؤسسة المصرية العامة للتاليف ، القاهرة ، 1965.

• **القاضي عياض**، عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544)،

96 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط، بدون تاريخ .

• **القاضي عياض وولده محمد**،

97 - مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ، تحقيق وتعليق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990.

• **القاضي النعمان**، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي (ت 363)،

98 - كتاب المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي / ابراهيم شبوخ / محمد اليعلاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية، تونس، 1978.

99 - كتاب الإقتصار، تحقيق محمد وحيد ميزرا، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1957.

• **القفطي**، الوزير جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت 646)،

100 - إخبار العلماء بأخبارالحكماء ، دار الآثار ، بيروت ، بدون تاريخ .

• **مجهول**،

101 - كتاب ترتيب أوقات الغراسة والمغارسة ، تحقيق ودراسة وترجمة ، آنخل لوبيس ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، غرناطة ، 1990.

• **مجهول**،

102 - رسالة في أوقات السنة، تحقيق آنخل نافارو، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، غرناطة ،1990.

• **المراكشي**، محيي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي (كان حيا اوائل القرن 7)،

103 - كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان / محمد العربي العلمي ، مكتبة الإستقامة، القاهرة ، 1949.

• **المقدسي**، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي البشاري (ت 388)،

104 - احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بريل ، ليدن ، 1967 .

• **المقري**، الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041)،

105 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 .

• **الونشريسي**، ابو العباس احمد بن يحيى (ت 914)،

106 - المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل إفريقية والأندلس والمغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، 1981 .

• **ياقوت الحموي**، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626)

107 - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1979.

108 - المشترك وضعا والمفترق صقعا ، نشر وستنفلد ، جوتنجن ، 1846.

ثالثا :
الدراسات الحديثة

• **ابراهيم بن مراد ،**

109 - بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1991.

• **ابراهيم القادري بوتشيش ،**

110 - اثر الاقطاع في تاريخ الأندلس السياسي ، دار عكاظ ، الرباط ، 1992.

• **أحمد الطاهري ،**

111 - دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس ، عصري الخلافة والطوائف ، مطبعة النجاح الجديدة ، البيضاء ، 1993.

112 - عامة قرطبة في عصر الخلافة ، دار عكاظ ، الرباط ، 1989.

• **سعيد عبد الفتاح ،**

113 - الرسائل الثلاث في النفس ، (نصوص مختارة) ، القاهرة ، 1990.

• **عبد العزيز بنعبد الله**

114 - الطب والأطباء بالمغرب ، المطبعة الإقتصادية ، المغرب ، 1960.

• **محمد العربي الخطابي ،**

115 - الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، تأليف وتحقيق ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988.

- *ALVARO DE MORALES Camilo,*
116 - " algo más sobre el manuscrito árabe 4764/1 de la B.N. de Paris ", in : *Ciencias de la Naturaleza,* Textos y Estudios II, C.S.I.C., Madrid,1992, pp.135 - 53.

- *ASIN PALACIOS Miguel,*
117 - *Glosario de voces romances registrados por un botánico anónimo hispano-musul man, (siglos XI-XII),* Madrid,1964.

- *BOSCH VILA Jacinto,*
118 - *Historia de Sevilla : la Sevilla Islámica,* Universidad de Sevilla, Utrera,1984.

- *BOLENS Lucie,*
119 - *Agronomes andalous au Moyen Age,* Genève - Paris, Droz,1981.
120 - *L'Andalousie du quotidien au sacré (XI -XII),* Great Britain,Variorum, 1990.
121 - "Al-Andalus et l'agronomie : Orient , Occident ou Andalousie ?" *Al-Qantara,* Madrid,1990, XI, fasc 2, pp. 367-77.
122 - "La révolution agricole andalouse du XI siècle", *Studia Islamica,* Paris, 1978, vol 47, pp.121- 41.

- *CARABAZA BRAVO Julia María,*
123 - "La edición Jordana de al - Muqni de Ibn Hayyay, problemas en torno a su autoria",*Al-Qantara,* Madrid, 1990, vol XI, fasc1, pp.71-81.
124- "Un agronomo del siglo XI, Abu -l- Jayr", in : *Ciencias de la naturaleza,* I, C.S.I.C., Madrid,1990, pp. 223 - 40.

- *DIETRICH Albert,*
125 - *Medicinalia Arabica,* Der Akademie Schaften Gottingen, Vandenhoek ruprecht, 1966 .

- *FAHD Toufic,*
126 - "Traductions en arabe d'écrits géoponiques", in : *Ciencias de la Naturaleza,* II, C.S.I.C., Madrid,1992, pp.11-21.

- *FORCADA NOGUES Miquel,*
127 - "Miqat en los calendarios andalusiés", *Al -Qantara,* Madrid,1990, vol XI, fasc, 1, pp., 59 - 99.

- *GARCIA GOMES, Emilio,*
128 - "Sobre agricultura española, cuestiones bibiográficas" , *Al-Andalus,* Madrid, 1945, vol X, pp.127 - 46.

- *GARCIA SANCHEZ Expiración ,*
129 - "Agriculture in Muslim Spain", in : *The Legacy of Muslim Spain,* edited by Salma Khadra Jayyusi,Leiden,Brill, 1992,pp.127-46.

- *LECLERC Lucien,*
130 - *Histoire de la médecine arabe, X et XI siècle,* textes choisis et commentés, Paris,1986.

- *MEYERHOF Max,*
131 - "Esquisse d'Histoire et de pharmacologie et botanique chez les musulmans d'Espagne", *Studies in Medieval Arabic Medecine,* London, Variorum reprints,1984.

- *MILLAS VALLICROSA Jose Maria,*
132 -" Sobre bibliografía agronómica hispano-árabe ", *Al -Andalus,* Madrid, 1954, vol XIX, pp.129 - 42.
133 -" Un nuevo manuscrito de la obra de al-Tignari ",*Tamuda*,1953, año 1, 1° semestre, pp.85 - 86.
134 - "Nuevos textos manuscritos de Ibn Wafid e Ibn Bassal",*Tamuda* Tetuan, 1954, año 2, pp. 339 - 44.
135-" Texto de la traducción castellana del tratado de agricultura de Ibn Bassal", *Al-Andalus* , Madrid,1948,vol XIII, pp. 347-430.
136 - " Aportaciones para el estudio de la obra de Ibn Hayyay y de Abu-l-jayr", *Al -Andalus,* Madrid,1955, pp. 87-105.

- *SAMSO Julio,*
137 - " Los naturalistas hispano - musulmanes ", in: *actas de las jornadas de cultura árabe e islámica,* Madrid, 1981.

- *SEGURA PEREZ Francisca/ LOZANO CAMARA Indalecio*
138 - *Ciencias de la naturaleza en al -Andalus,*II, serie bibliográfica, C.S.I.C, Madrid, 1992.

- *SOURNIA Jean Charles,*
139 - *Médecins arabes anciens X et XII siècles* , Paris , 1986.

- *VERNET Juan,*
140 - " Panorama de la ciencia", in: *actas de las jornadas de cultura árabe e islámica,* Madrid,1981.

- *WINES David ,*
141 - "Murri the tale of a condiment" *Al-Qantara,*vol. XII, fasc. 2, Madrid, 1991, pp. 371 - 88.

- *ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM,*
142 - Nouvelle edition, Tome II, 1977.

الفهارس

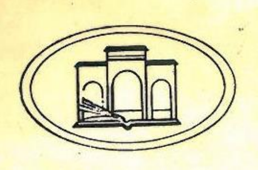
فهرس الأصناف الحرفية

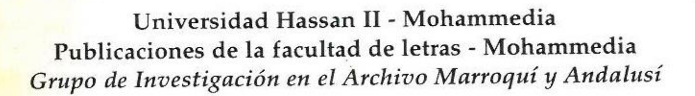
فهرس التخصصات الطبية

فهرس الأدوات والمنتوجات والمستحضرات الطبية والفلاحية

فهرس مصطلحات المعاملات والأعمال

فهرس الكتب الواردة في المتن المصدري





Universidad Hassan II - Mohammedia
Publicaciones de la facultad de letras - Mohammedia
Grupo de Investigación en el Archivo Marroquí y Andalusí

AGRICULTURA Y MEDICINA EN AL-ANDALUS

Dimensión filosófica y tendencia experimental

Ahmed TAHIRI